

جمعية أنصار السنة المحمدية  
فرع بلييس - اللجنة العلمية

## مسابقة فضيلة الشيخ

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

رحمه الله

المستوى الأول

إعداد  
اللجنة العلمية

## أولا العقيدة ( الباب الرابع والخامس والسادس من كتاب التوحيد بشرحها لابن عثيمين )

### باب الخوف من الشرك

وقول الله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: ٤٨]، وقال الخليل عليه السلام: { وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم: ٣٥]

### الشرح:

#### مناسبة الباب للباين قبله

في الباب الأول ذكر المؤلف رحمه الله تحقيق التوحيد، وفي الباب الثاني ذكر أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثالث بهذا الباب رحمه الله تعالى؛ لأن الإنسان يرى أنه قد حقق التوحيد وهو لم يحققه، ولهذا قال بعض السلف: " ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص ".

وذلك أن النفس متعلقة بالدنيا تريد حظوظها من مال أو جاه أو رئاسة، وقد تريد بعمل الآخرة الدنيا، وهذا نقص في الإخلاص، وقل من يكون غرضه الآخرة في كل عمله، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله ما سبق من الباين بهذا الباب، وهو الخوف من الشرك، وذكر فيه آيتين:

**الأولى:** قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } " لا " : نافية، " أن يشرك به " : فعل مضارع، مقرون بأن المصدرية؛ فيحول إلى مصدر تقديره: إن الله لا يغفر الإشراف به، أو لا يغفر إشراكا به؛ فالشرك لا يغفره الله أبدا؛ لأنه جناية على حق الله الخاص، وهو التوحيد. . . ولهذا قال الله تعالى: { إِنَّ الشُّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: ١٣]

#### وهل المراد بالشرك هنا الأكبر، أم مطلق الشرك؟

قال بعض العلماء: إنه مطلق يشمل كل شرك ولو أصغر؛ كالحلف بغير الله، فإن الله لا يغفره، أما بالنسبة لكبائر الذنوب؛ كالسرقة، والخمر؛ فإنها تحت المشيئة، فقد يغفرها الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق في هذه المسائل، اختلف كلامه في هذه المسألة؛ فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر. وعلى كل حال؛ فيجب

الحذر من الشرك مطلقاً؛ لأن العموم يحتتمل أن يكون داخلاً فيه الأصغر؛ لأن قوله: " أن يشرك به " أن وما بعدها في تأويل مصدر، تقديره: إشراكاً به؛ فهو نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم.

قوله: {وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} المراد بالدون هنا: ما هو أقل من الشرك، وليس ما سوى الشرك.

الآية الثانية: قوله: {وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} قيل: المراد ببنيه: بنوه لصلبه، ولا نعلم له من صلبه سوى إسماعيل وإسحاق. وقيل: المراد ذريته وما توالت من صلبه، وهو الأرجح.

ومعنى: " اجنبي "؛ أي: اجعلني في جانب والأصنام في جانب، وهذا أبلغ مما لو قال: امنعني وبني من عبادة الأصنام؛ لأنه إذا كان في جانب عنها كان أبعد.

فإبراهيم عليه السلام يخاف الشرك على نفسه، وهو خليل الرحمن وإمام الحنفاء؛ فما بالك بنا نحن إذن؟! فلا تأمن الشرك، ولا تأمن النفاق؛ إذ لا يأمن النفاق إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن.

ولهذا قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه.

قوله: {أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} أن والفعل بعدها في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله: اجنبي.

والأصنام: جمع صنم، وهو ما جعل على صورة إنسان أو غيره؛ يعبد من دون الله. أما الوثن: فهو ما عبد من دون الله، على أي وجه كان، وفي الحديث: (( لا تجعل قبري وثناً يعبد ))). فالوثن أعم من الصنم.

.....

وفي الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (( إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ قَالُوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ ))). (١)

#### الشرح:

قوله: " وفي الحديث "، الحديث: ما أضيف إلى الرسول من قول أو فعل أو إقرار أو وصف.

قوله: " أخوف ما أخاف عليكم " : الخطاب للمسلمين؛ إذ المسلم هو الذي يخاف عليه الشرك الأصغر، وليس لجميع الناس.

(١) رواه أحمد (٥ / ٤٢٨) من حديث مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١ / ٣٢٣)

قوله: " الرياء ": مشتق من الرؤية، مصدر رأى يرأى، والمصدر رياء؛ كقاتل يقاتل قتالا. والرياء: أن يعبد الله ليراه الناس؛ فيمدحوه على كونه عابدا، وليس يريد أن تكون العبادة للناس؛ لأنه لو أراد ذلك؛ لكان شركا أكبر، والظاهر أن هذا على سبيل التمثيل، وإلا؛ فقد يكون رياء، وقد يكون سماعا، أي يقصد بعبادته أن يسمعه الناس فيثنوا عليه، فهذا داخل في الرياء؛ فالتعبير بالرياء من باب التعبير بالأغلب. أما إن أراد بعبادته أن يقتدي الناس به فيها؛ فليس هذا رياء، بل هذا من الدعوة إلى الله عز وجل، والرسول ﷺ يقول: " فعلت هذا لتأتموا بي وتعلموا صلاتي " .

### والرياء ينقسم باعتبار إبطاله للعبادة إلى قسمين:

الأول: أن يكون في أصل العبادة، أي ما قام يتعبد إلا للرياء؛ فهذا عمله باطل مردود عليه لحديث أبي هريرة في " الصحيح " مرفوعا، قال الله تعالى: (( أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه )) .

الثاني: أن يكون الرياء طارئا على العبادة، أي: أن أصل العبادة لله، لكن طرأ عليها الرياء؛

### فهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يدافعه؛ فهذا لا يضره. مثاله: رجل صلى ركعة، ثم جاء أناس في الركعة الثانية، فحصل في قلبه شيء؛ بأن أطال الركوع أو السجود أو تباكى وما أشبه ذلك، فإن دافعه؛ فإنه لا يضره لأنه قام بالجهد.

القسم الثاني: أن يسترسل معه؛ فكل عمل ينشأ عن الرياء، فهو باطل؛ كما لو أطال القيام، أو الركوع، أو السجود، أو تباكى؛ فهذا كل عمله حابط، ولكن هل هذا البطالان يمتد إلى جميع العبادة أم لا؟

### نقول: لا يخلو هذا من حالين:

الحالة الأولى: أن يكون آخر العبادة مبنيا على أولها، بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها؛ فهذه كلها فاسدة. وذلك مثل الصلاة؛ فالصلاة مثلا لا يمكن أن يفسد آخرها ولا يفسد أولها، وحينئذ تبطل الصلاة كلها؛ إذا طرأ الرياء في أثنائها ولم يدافعه.

الحالة الثانية: أن يكون أول العبادة منفصلا عن آخرها، بحيث يصح أولها دون آخرها، فما سبق الرياء؛ فهو صحيح، وما كان بعده؛ فهو باطل. مثال ذلك: رجل عنده مئة ريال، فتصدق

بخمسين بنية خالصة، ثم تصدق بخمسين بقصد الرياء؛ فالأولى مقبولة، والثانية غير مقبولة؛ لأن آخرها منفق عن أولها.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رضي الله عنه، قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً وَقُلْتُ أُخْرَى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ". (١)

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه، "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ". (٢)

قوله: "من": هذه شرطية تفيد العموم للذكر والأنثى.

قوله: "يدعو من دون الله ندا": أي: يتخذ لله ندا سواء دعاه دعاء عبادة أم دعاء مسألة؛

**لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين:**

**الأول:** دعاء عبادة، مثاله: الصوم، والصلاة، وغير ذلك من العبادات، فإذا صلى الإنسان أو صام؛ فقد دعا ربه بلسان الحال أن يغفر له. . . . ، ويدل لهذا القسم قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}؛ فجعل الدعاء عبادة، وهذا القسم كله شرك، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله؛ فقد كفر كفراً مخرجاً له عن الملة.

**الثاني:** دعاء المسألة؛ فهذا ليس كله شركاً، بل فيه تفصيل، فإن كان المخلوق قادراً على ذلك؛

فليس بشرك؛ كقولك: اسقني ماء لمن يستطيع ذلك، قال ﷺ: "من دعاكم فأجيبوه".

وأما إن دعا المخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن دعوته شرك مخرج عن الملة. مثال ذلك: أن

تدعو إنساناً أن ينزل الغيث معتقداً أنه قادر على ذلك.

والمراد بقوله الرسول ﷺ "من مات وهو يدعو من دون الله ندا" المراد الند في العبادة، أما

الند في المسألة؛ ففيه التفصيل السابق.

(١) رواه البخاري (٤٤٩٧)

(٢) رواه مسلم (٩٣)

قوله: "دخل النار": أي: خالدا، مع أن اللفظ لا يدل عليه؛ لأن دخل فعل، والفعل يدل على الإطلاق.

وأيضاً قال الله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}، وإذا حرمت الجنة؛ لزم أن يكون خالداً في النار أبداً.

قوله: عن جابر رضي الله عنه، "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ".

قوله: "من": شرطية تفيد العموم، وفعل الشرط: "لقي"، وجوابه قوله: "دخل الجنة"، وهذا الدخول لا ينافي أن يعذب بقدر ذنوبه إن كانت عليه ذنوب؛ لدلالة نصوص الوعيد على ذلك، وهذا إذا لم يغفر الله له؛ لأنه داخل تحت المشيئة.

قوله: "لا يشرك": في محل نصب على الحال من فاعل "لقي".

قوله: "شيئاً": نكرة في سياق الشرط؛ فيعم أي شرك حتى ولو أشرك مع الله أشرف الخلق، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم دخل النار.

#### مسألة:

هل يلزم من دخول النار الخلود لمن أشرك؟ هذا بحسب الشرك، إن كان الشرك أصغر؛ فإنه لا يلزم من ذلك الخلود في النار، وإن كان أكبر؛ فإنه يلزم منه الخلود في النار، كما دلت على ذلك النصوص.

.....

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه يشرك به شيئاً؛ دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

- الثامنة: المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.  
 التاسعة: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ}.  
 العاشرة: فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري.  
 الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

### الشرح:

فيه مسائل:

**الأولى:** الخوف من الشرك؛ لقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}. ولقوله: {وَاجْتُنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}

**الثانية:** أن الرياء من الشرك؛ لحديث: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال: الرياء" وقد سبق بيان أحكامه بالنسبة إلى إبطال العبادة.

**الثالثة:** أنه من الشرك الأصغر؛ لأن النبي ﷺ لما سئل عنه قال: "الرياء"، فسماه شركاً أصغر. وهل يمكن أن يصل إلى الأكبر؟ ظاهر الحديث لا يمكن؛ لأنه قال: "الشرك الأصغر"، فسئل عنه؛ فقال: "الرياء". لكن في عبارات ابن القيم رحمه الله أنه إذا ذكر الشرك الأصغر قال: كيسير الرياء؛ فهذا يدل على أن كثيره ليس من الأصغر، لكن إن أراد بالكمية؛ فنعم؛ لأنه لو كان يرثي في كل عمل؛ لكان مشركاً شركاً أكبر لعدم وجود الإخلاص في عمل يعمله، أما إذا أراد الكيفية؛ فظاهر الحديث أنه أصغر مطلقاً.

**الرابعة:** أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين؛ وتؤخذ من قوله ﷺ: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"؛ ولأنه قد يدخل في قلب الإنسان من غير شعور؛ لخفائه وتطلع النفس إليه، فإن كثيراً من النفوس تحب أن تمدح بالتعبد لله.

**الخامسة:** قرب الجنة والنار؛ لقوله: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً؛ دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً؛ دخل النار".

**السادسة:** الجمع بين قربهما في حديث واحد: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً" الحديث.

السابعة: أن من لقيه يشرك به شيئاً دخل النار، ولو كان من أعبد الناس: تؤخذ من العموم في قوله: "من لقي الله"؛ لأن "من" للعموم، لكن إن كان شركه أكبر؛ لم يدخل الجنة وإن كان أعبد الناس؛ لقوله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}، وإن كان أصغر؛ عذب بقدر ذنوبه ثم دخل الجنة.

الثامنة: المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام؛ تؤخذ من قوله تعالى: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: {رَبِّ إِيَّاهُمْ أَضَلَّلْنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ}.

العاشرة: فيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخاري: الظاهر أنها تؤخذ من جميع الباب؛ لأن لا إله إلا الله فيها نفي وإثبات.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك؛ لقوله: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} وقوله: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً؛ دخل الجنة".

.....

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} الآية. [يوسف: ١٠٨]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ، مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: ((إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) وفي رواية ((أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ)) فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْنَاهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْنَاهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ". أخرجاه. (١)

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ حَيْبَرٍ: "لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢) ومسلم (١٩)



يُعْطَاهَا، قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيٍّ  
بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ  
أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: "انْفُذْ عَلَى رَسُولِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ،  
وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ  
يَكُونَ لَكَ مِئَةُ النَّعَمِ". (١)

### الشرح:

هذا الترتيب الذي ذكره المؤلف من أحسن ما يكون؛ لأنه لما ذكر توحيد الإنسان بنفسه ذكر دعوة  
غيره إلى ذلك؛ لأنه لا يتم الإيمان إلا إذا دعا إلى التوحيد، قال تعالى: {وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ  
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

فلا بد مع التوحيد من الدعوة إليه، وإلا كان ناقصا، ولا ريب أن هذا الذي سلك سبيل التوحيد  
لم يسلكه إلا وهو يرى أنه أفضل سبيل، وإذا كان صادقا في اعتقاده؛ فلا بد أن يكون داعيا إليه،  
والدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله من تمام التوحيد، ولا يتم التوحيد إلا به.

قوله: " قل هذه سبيلي ": المشار إليه ما جاء به النبي ﷺ من الشرع عبادة ودعوة إلى الله.  
سبيلي: طريقي.

قوله: " ادعوا ": حال من الياء في قوله: " سبيلي "، ويحتمل أن تكون استئنافية لبيان تلك السبيل.

وقوله: " إلى الله "؛ لأن الدعوة إلى الله ينقسمون إلى قسمين:

١- داع إلى الله. ٢- داع إلى غيره.

فالداعي إلى الله تعالى هو المخلص الذي يريد أن يوصل الناس إلى الله تعالى.  
والداعي إلى غيره قد يكون داعيا إلى نفسه، يدعو إلى الحق لأجل أن يعظم بين الناس ويحترم،  
ولهذا تجده يغضب إذا لم يفعل الناس ما أمر به، ولا يغضب إذا ارتكبوا نهيا أعظم منه، لكن لم يدع

(١) رواه البخاري (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦)

إلى تركه. وقد يكون داعياً إلى رئيسه؛ كما يوجد في كثير من الدول من علماء الضلال من علماء الدول، لا علماء الملل، يدعون إلى رؤسائهم.

قوله: "على بصيرة": أي: علم؛ فتضمنت هذه الدعوة الإخلاص والعلم؛ لأن أكثر ما يفسد الدعوة عدم الإخلاص، أو عدم العلم.

وليس المقصود بالعلم في قوله: "على بصيرة" العلم بالشرع فقط، بل يشمل: العلم بالشرع، والعلم بحال المدعو، والعلم بالسبيل الموصل إلى المقصود، وهو الحكمة. فيكون بصيراً بحكم الشرع، وبصيراً بحال المدعو، وبصيراً بالطريق الموصلة لتحقيق الدعوة.

قوله: {أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي} ذكروا فيها رأيين:

الأول: "أنا" مبتدأ، وخبرها "على بصيرة"، "ومن اتبعني" معطوفة على "أنا"؛ أي: أنا ومن اتبعني على بصيرة؛ أي: في عبادتي ودعوتي.

الثاني: "أنا" توكيد للضمير المستتر في قوله: "أدعو"؛ أي: أدعو أنا إلى الله ومن اتبعني يدعو أيضاً؛ أي: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ويدعو من اتبعني، وكلانا على بصيرة.

قوله: "وسبحان الله": أي: وسبحان الله أن أكون أدعو على غير بصيرة! وإعراب "سبحان": مفعول مطلق عامله محذوف تقديره أسبح.

قوله: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} محلها مما قبلها في المعنى توكيد؛ لأن التوحيد معناه نفي الشرك.

قوله: (أي: قول ابن عباس): "بعث معاذاً": أي: أرسله، وبعثه على صفة المعلم والحاكم والداعي، وبعثه في ربيع الأول سنة عشر من الهجرة، وهذا هو المشهور، وبعثه هو وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما، بعث معاذاً إلى صنعاء وما حولها، وأبا موسى إلى عدن وما حولها، وأمرهما: {أن اجتماعا وتطاوعا ولا تفرقا، ويسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا}.

قوله: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب": قال ذلك مرشداً له، وهذا دليل على معرفته ﷺ

بأحوال الناس، وما يعلمه من أحوالهم؛ فله طريقان:

١- الوحي. ٢- العلم والتجربة.

قوله: "من": بيانية، والمراد بالكتاب: التوراة والإنجيل؛ فيكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، وهم أكثر أهل اليمن في ذلك الوقت، وإن كان في اليمن مشركون؛ لكن الأكثر اليهود والنصارى، ولهذا اعتمد الأكثر وأخبره النبي ﷺ بذلك؛ لأمرين:

**الأول:** أن يكون بصيرا بأحوال من يدعو.

**الثاني:** أن يكون مستعدا لهم؛ لأنهم أهل كتاب، وعندهم علم.

قوله: "فليكن": الفاء للاستئناف أو عاطفة، واللام للأمر، و "أول": اسم يكن، وخبرها "شهادة"، وقيل العكس، يعني "أول" خبر مقدم و "شهادة" اسم يكن مؤخرا. والظاهر أنه يريد أن يبين أن أول ما يكون هي الشهادة، وإذا كان كذلك؛ يكون "أول" مرفوعا على أنه اسم يكن؛ أي: أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله: "شهادة": الشهادة هنا من العلم، قال تعالى: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

فالشهادة هنا العلم والنطق باللسان؛ لأن الشاهد مخبر عن علم، وهذا المقام لا يكفي فيه مجرد الإخبار، بل لا بد من علم وإخبار وقبول وإقرار وإذعان؛ أي: انقياد.

فلو اعتقد بقلبه، ولم يقل بلسانه: أشهد أن لا إله إلا الله، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنه ليس بمسلم بالإجماع حتى ينطق بها؛ لأن كلمة أشهد تدل على الإخبار، والإخبار متضمن للنطق، فلا بد من النطق؛ فالنية فقط لا تجزئ، ولا تنفعه عند الله حتى ينطق، والنبي ﷺ قال لعنه أبي طالب: "قل" ولم يقل: اعتقد أن لا إله إلا الله.

قوله: "لا إله": أي: لا معبود؛ فإنه بمعنى مألوه؛ فهو فعال بمعنى مفعول، وعند المتكلمين: إله بمعنى آله؛ فهو اسم فاعل، وعليه يكون معنى لا إله؛ أي: لا قادر على الاختراع، وهذا باطل ولو قيل بهذا المعنى؛ لكان المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ موحدين لأنهم يقرون به، قال تعالى: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}، وقال تعالى: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}.

فإن قيل: كيف يقال: لا معبود إلا الله، والمشركون يعبدون أصنامهم؟!

أجيب: بأنهم يعبدونها بغير حق؛ فهم وإن سموها آلهة؛ فألوهيتها باطلة، وليست معبودات بحق، ولذلك إذا مسهم الضر؛ لجؤوا إلى الله تعالى، وأخلصوا له الدين، وعلى هذا لا تستحق أن

تسمى آلهة. فهم يعبدونها ويعترفون بأنهم لا يعبدونها إلا لأجل أن تقرهم إلى الله فقط؛ فجعلوها وسيلة وذريعة، وبهذا التقدير لا يرد علينا إشكال في قول الرسل لقومهم: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}؛ لأن هذه المعبودات لا تستحق أن تعبد، بل الإله المعبود حقا هو الله سبحانه وتعالى .

وفي قوله: " لا إله إلا الله " نفي الألوهية لغير الله، وإثباتها لله ولهذا جاءت بطريق الحصر .

قوله: " لأعطين " هذه جملة مؤكدة بثلاث مؤكدات: القسم المقدر، واللام، والنون، والتقدير: والله لأعطين .

قوله: " الراية " العلم، وسمي راية، لأنه يرى، وهو ما يتخذه أمير الجيش للعلامة على مكانه.

قوله: " غدا " يراد به ما بعد اليوم، والأمس يراد به ما قبله.

قوله: " يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله " أثبت المحبة لله من الجانبين، أي أن الله تعالى يحب ويحب، وقد أنكر هذا أهل التعطيل، وقالوا: المراد بمحبة الله للعبد إثابته أو إرادة إثابته، والمراد بمحبة العبد لله محبة ثوابه، وهذا تحريف للكلام عن ظاهره مخالف لإجماع السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم، ومحبة الله تعالى ثابتة له حقيقة، وهي من صفاته الفعلية، وكل شيء من صفات الله يكون له سبب؛ فهو من الصفات الفعلية، والمحبة لها سبب؛ فقد يبغض الله إنسانا في وقت، ويحبه في وقت لسبب من الأسباب.

قوله: " على يديه " أي: يفتح الله خير على يديه، وفي ذلك بشارة بالنصر.

قوله: " يدوكون " أي: يخوضون، وجملة يدوكون خبر بات.

قوله: " غدوا على رسول الله " أي: ذهبوا إليه في الغدوة مبكرين، كلهم يرجو أن يعطاها؛ لينال محبة الله ورسوله.

قوله: " فقال: أين علي؟ " القائل: الرسول ﷺ

قوله: " يشتكي عينيه " أي: يتألم منها، ولكنه يشتكي إلى الله؛ لأن عينيه مريضة.

وقوله: " فأرسلوا إليه " بأمر الرسول ﷺ قوله: " فأتي به " كأنه ﷺ، قد عمم على عينيه؛

لأن قوله: " أتي به " أي: يقاد.

وقوله: " كأن لم يكن به وجع " أي: ليس بها أثر حمرة ولا غيرها.

قوله: "فبرأ": هذا من آيات الله الدالة على قدرته وصدق رسوله ﷺ وهذا من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (، أنه يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله؛ لتخصيص النبي ﷺ له ذلك من بين سائر الصحابة.

قوله: "انفذ على رسلك": أي مهلك، مأخوذ من رسل الناقة؛ أي: حليبها يجلب شيئاً فشيئاً، والمعنى: امش هويئنا هويئنا؛ لأن المقام خطير؛ لأنه يخشى من كمين، واليهود خبيثاء أهل غدر.

قوله: "حتى تنزل بساحتهم": أي: ما يقرب منهم وما حولهم.

قوله: "ثم ادعهم": أي: أهل خيبر، "إلى الإسلام"؛ أي: الاستسلام لله.

قوله: "وأخبرهم بما يجب عليهم": أي: فلا تكفي الدعوة إلى الإسلام فقط، بل يخبرهم بما يجب عليهم فيه؛ حتى يقتنعوا به ويلتزموا.

لكن على الترتيب الذي في حديث بعث معاذ. وهذه المسألة يتردد الإنسان فيها: هل يخبرهم بما يجب عليهم من حق الله في الإسلام قبل أن يسلموا أو بعده؟ فإذا نظرنا إلى ظاهر حديث معاذ وحديث سهل هذا؛ فإننا نقول: الأولى أن تدعوه للإسلام، وإذا أسلم تخبره.

وإذا نظرنا إلى واقع الناس الآن، وأنهم لا يسلمون عن اقتناع؛ فقد يسلم، وإذا أخبرته ربه يرجع، قلنا: يخبرون أولاً بما يجب عليهم من حق الله فيه؛ لئلا يرددوا عن الإسلام بعد إخبارهم بما يجب عليهم، وحينئذ يجب قتلهم لأنهم مرتدون. ويحتمل أن يقال: تترك هذه المسألة للواقع، وما تقتضيه المصلحة من تقديم هذا أو هذا.

قوله: "لأن يهدي الله": اللام واقعة في جواب القسم، وأن بفتح الهمزة مصدرية، ويهدي مؤول بالمصدر مبتدأ، و"خير": خبر، ونظيرها قوله تعالى: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ}.

قوله: "حمر النعم": بتسكين الميم: جمع أحمر، وبالضم: جمع حمار، والمراد الأول. وحمر النعم: هي الإبل الحمراء، وذكرها لأنها مرغوبة عند العرب، وهي أحسن وأنفس ما يكون من الإبل عندهم.

وقوله: "لأن يهدي الله بك"، ولم يقل: لأن تهدي؛ لأن الذي يهدي هو الله. والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق والدلالة.

وهل المراد الهداية من الكفر إلى الإسلام، أو يعم كل هداية؟ نقول: هو موجه إلى قوم يدعوهم إلى الإسلام، وهل نقول: إن القرينة الحالية تقتضي التخصيص، وأن من اهتدى على يديه رجل، في

مسألة فرعية من مسائل الدين، لا يحصل له هذا الثواب بقريئة المقام؛ لأن عليا موجه إلى قوم كفار يدعوهم إلى الإسلام؟ الله أعلم.

.....

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتباع رسول الله ﷺ

الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة: وهي من أهمها: إبعاد المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب

الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: " أن يوحدوا الله " : معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

العاشر: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدرج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: " لأعطين الراية... " إلخ: علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفرقه في عينه علم من أعلامها أيضا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوكلهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عن سعي.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: "على رسلك".

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة؛ لقوله: "أخبرهم بما يجب عليهم".

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.

**الشرح:**

**فيه مسائل:**

**الأولى:** أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ:

وتؤخذ من قوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}. والأشمل من

ذلك والأبلغ في مطابقة الآية أن يقال: إن الدعوة إلى الله طريق الرسل وأتباعهم.

**الثانية:** التنبيه على الإخلاص: وتؤخذ من قوله: {أدعو إلى الله}، ولهذا قال: "لأن كثيرا من

الناس لو دعا إلى الحق؛ فهو يدعو إلى نفسه؛ فالذي يدعو إلى الله هو الذي لا يريد إلا أن يقوم دين

الله، والذي يدعو إلى نفسه هو الذي يريد أن يكون قوله هو المقبول، حقا كان أم باطلا.

**الثالثة:** أن البصيرة من الفرائض: وتؤخذ من قوله تعالى: {أدعو إلى الله على بصيرة}. ووجه

كون البصيرة من الفرائض؛ أنه لا بد للداعية من العلم بما يدعو إليه، والدعوة فريضة؛ فيكون

العلم بذلك فريضة.

**الرابعة:** من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيها لله عن المسبة وتؤخذ من قوله تعالى: {وَسُبْحَانَ

اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. فسبحان الله دليل على أنه واحد لكأله.

ومعنى عن المسبة، أي: وعن مماثلة الخالق للمخلوق؛ إذ تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصا.

**الخامسة:** أن من قبح الشرك كونه مسبة لله: وتؤخذ من قوله تعالى: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} بعد قوله: {وَسُبْحَانَ اللَّهِ}

**السادسة:** وهي من أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك؛ لقوله تعالى: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولم يقل: "وما أنا مشرك"؛ لأنه إذا كان بينهم، ولو لم يكن مشركاً؛ فهو في ظاهره منهم، ولهذا لما قال الله للملائكة: {اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} توجه الخطاب له ولهم.

**السابعة:** كون التوحيد أول واجب: تؤخذ من قوله ﷺ: "فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله". وفي رواية: "أن يوحدوا الله". وقال بعض العلماء: أول واجب النظر، لكن الصواب أن أول واجب هو التوحيد؛ لأن معرفة الخالق دلت عليها الفطرة.

**الثامنة:** أن يبدأ به قبل كل شيء: تؤخذ من قوله ﷺ: "ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه".

**التاسعة:** أن معنى أن يوحدوا الله؛ معنى شهادة أن لا إله إلا الله: تؤخذ من تعبير الصحابي حيث عبر في رواية بقوله: "شهادة أن لا إله إلا الله"، وفي رواية عبر بقوله: "أن يوحدوا الله".

**العاشر:** أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها: ومراده بقوله: "لا يعرفها، أو يعرفها" شهادة أن لا إله إلا الله، وتؤخذ من قوله: "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله" إذ لو كانوا يعرفون (لا إله إلا الله) ويعملون بها؛ ما احتاجوا إلى الدعوة إليها.

**الحادية عشرة:** التنبيه على التعليم بالتدرج: تؤخذ من قوله ﷺ: "ادعهم إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم... إلخ الحديث.

**الثانية عشرة:** البداية بالأهم فالأهم: تؤخذ من أمره ﷺ: "معاذاً بالتوحيد ليدعو إليه أولاً، ثم الصلاة، ثم الزكاة.

**الثالثة عشرة:** مصرف الزكاة: تؤخذ من قوله: "فترد على فقرائهم".



الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم: المراد بالشبهة هنا: شبهة العلم؛ أي: يكون عنده جهل. تؤخذ من قوله: "إن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم".  
فبين أن هذه الصدقة تؤخذ من الأغنياء، وأن مصرفها الفقراء.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال: تؤخذ من قوله: "فإياك وكرائم أموالهم"؛ إذ إياك تنفيذ التحذير، والتحذير يستلزم النهي.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم: تؤخذ من قوله: "واتق دعوة المظلوم".

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب: تؤخذ من قوله: "فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"؛ فقرن الترغيب أو التهيب بالأحكام، مما يحث النفس إن كان ترغيباً، ويبيدها ويزجرها إن كان ترهيباً؛ لقوله: "اتق دعوة المظلوم"؛ فالنفس قد لا تتقي، لكن إذا قيل: ليس بينها وبين الله حجاب؛ خافت ونفرت من ذلك.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء: والظاهر أن المؤلف رحمه الله يريد الإشارة إلى قصة خير؛ إذ وقع فيها في عهد النبي ﷺ

جوع عظيم، حتى إنهم أكلوا الحمير والثوم، وأما الوباء؛ فهو ما وقع في عهد علي رضي الله عنه، وأما المشقة؛ فظاهرة. ووجه كون ذلك من أدلة التوحيد: أن الصبر والتحمل في مثل هذه الأمور؛ يدل على إخلاص الإنسان في توحيد الله، وأن قصده الله، ولذلك صبر على البلاء.

التاسعة عشرة: قوله: "لأعطين الراية" علم من أعلام النبوة: لأن هذا حصل؛ فعلي بن أبي طالب يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

العشرون: تفلته في عينيه علم من أعلامها أيضاً: لأنه بصق في عينيه؛ فبراً كأن لم يكن به وجع.

الحادية والعشرون: فضيلة علي بن أبي طالب (: وهذا ظاهر؛ لأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوكلهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح: لأنهم انشغلوا عن بشارة الفتح بالتماسهم معرفة من يجب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عن سعي: لأن الصحابة غدوا على رسول الله ﷺ. مبكرين، كلهم يرجو أن يعطاها ولم يعطوها، وعلي بن أبي طالب مريض ولم يسع لها ومع ذلك أعطي الراية.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: "على رسلك": ووجهه: أنه أمره بالتمهل وعدم التسرع.

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال؛ لقوله: "انزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام".

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة؛ لقوله: "أخبرهم بما يجب عليهم": لأن من الحكمة أن تتم الدعوة، وذلك بأن تأمره بالإسلام أولاً، ثم تجربه بما يجب عليه من حق الله، ولا يكفي أن تأمره بالإسلام؛ لأنه قد يطبق هذا الإسلام الذي أمرته به وقد لا يطبقه، بل لا بد من تعاهده حتى لا يرجع إلى الكفر.

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام: تؤخذ من قوله ﷺ: "وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه".

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد: لقوله: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" أي: خير لك من كل ما يستحسن في الدنيا، وليس المعنى كما قال بعضهم: خير لك من أن تتصدق بنعم حمر.

الثلاثون: الحلف على الفتيا؛ لقوله: "فوالله لأن يهدي الله . . . إلخ؛ فأقسم النبي ﷺ وهو لم يستقسم، والفائدة هي حثه على أن يهدي الله به، والتوكيد عليه. ولكن لا ينبغي الحلف على الفتيا إلا لمصلحة وفائدة؛ لأنه قد يفهم السامع أن المفتي لم يحلف إلا لشك عنده.

.....

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ } الآية [الإسراء: ٥٧]

وقوله { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي } [الزخرف:

وقوله { اتَّخَذُوا أَحِبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } [التوبة: ٣١]  
 وقوله { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } [البقرة: ١٦٥]  
 وفي الصحيح عن النبي ﷺ، قال (( مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ، وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ )) (١).

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

### الشرح:

التفسير معناه: الكشف والإيضاح، مأخوذ من قولهم: فسرت الثمرة قشرها، ومن قول الإنسان: فسرت ثوبي؛ فاتضح ما وراءه، ومنه تفسير القرآن الكريم.  
 والتوحيد تقدم تعريفه: والمراد به هنا اعتقاد أن الله واحد في ألوهيته. وقوله: " وشهادة أن لا إله إلا الله " : معطوف على التوحيد؛ أي: وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله.  
 والعطف هنا من باب عطف المترادفين؛ لأن التوحيد حقيقة هو شهادة أن لا إله إلا الله.  
 وهذا الباب مهم؛ لأنه لما سبق الكلام على التوحيد وفضله والدعوة إليه، كأن النفس الآن اشرأبت إلى بيان ما هو هذا التوحيد الذي بوب له هذه الأبواب (وجوبه، وفضله، والدعوة إليه).  
 فيجاء بهذا الباب، وهو تفسير التوحيد، وقد ذكر المؤلف خمس آيات:  
 الآية الأولى: قوله تعالى: " أولئك " . أولاء: مبتدأ. " الذين " : اسم موصول بدل منه.  
 " يدعون " : صلة الموصول. وجملة " يتبعون " : خبر المبتدأ؛ أي: هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء هم أنفسهم يتبعون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب؛ فكيف تدعونهم وهم محتاجون مفتقرون؟! فهذا سفه في الحقيقة، وهذا ينطبق على كل من دعي، وهو داع؛ كعيسى بن مريم، والملائكة، والأولياء، والصالحين. وأما الشجر والحجر؛ فلا يدخل في الآية.

فهؤلاء الذين زعمتم أنهم أولياء من دون الله لا يملكون كشف الضر ولا تحويله من مكان إلى مكان؛ لأنهم هم بأنفسهم يدعون يتبعون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، وقد قال تعالى مينا حال

(١) رواه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم الأشجعي ÷.

هؤلاء المدعوين: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}.

قوله: " يدعون " ؛ أي: دعاء مسألة؛ كمن يدعو عليا عند وقوعهم في الشدائد، وكمن يدعو

النبي ﷺ يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألؤذ به . . . سواك عند حلول الحادث العمم

وقد يكون دعاء عبادة؛ كمن يتذلل لهم بالتقرب، والنذر، والركوع، والسجود.

قوله: " يبتغون " : يطلبون.

قوله: " الوسيلة " ؛ أي: الشيء الذي يوصلهم إلى الله؛ يعني: يطلبون ما يكون وسيلة إلى الله

- سبحانه وتعالى - أيهم أقرب إلى الله، وكذلك أيضا يرجون رحمته ويخافون عذابه.

**وجه مناسبة الآية للباب، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.**

أن التوحيد يتضمن البراءة من الشرك، بحيث لا يدعو مع الله أحدا؛ لا ملكا مقربا، ولا نبيا

مرسلا، وهؤلاء الذين يدعون الأنبياء والملائكة لم يتبرءوا من الشرك، بل هم واقعون فيه، ومن

العجب أنهم يدعون من هم في حاجة إلى ما يقربهم إلى الله تعالى؛ فهم غير مستغنين عن الله

بأنفسهم؛ فكيف يغنون غيرهم؟!

الآية الثانية والثالثة: قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ {الآيتين.

قوله: " براء " : على وزن فعال، وهي صفة مشبهة من التبرؤ، وهو التخلي؛ أي: إنني متخل

غاية التخلي عما تعبدون إلا الذي فطرني، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام قوي في ذات الله، فقال

ذلك معلنا به لأبيه وقومه، وأبوه هو آزر.

قوله: " تعبدون " : العبادة هنا التذلل والخضوع؛ لأن في قومه من يعبد الأصنام، ومنهم من

يعبد الشمس والقمر والكواكب.

قوله: {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} جمع بين النفي والإثبات؛ فالنفي: {بِرَاءٍ مِمَّا تَعْبُدُونَ} والإثبات: {إِلَّا

الَّذِي فَطَرَنِي} فدل على أن التوحيد لا يتم إلا بالكفر بما سوى الله والإيمان بالله وحده: {فَمَنْ

يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} وهؤلاء يعبدون الله ويعبدون غيره؛

لأنه قال: {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} والأصل في الاستثناء الاتصال إلا بدليل، ومع ذلك تبرأ منهم.

وفي قول إبراهيم عليه السلام: {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} ولم يقل إلا الله فائدتان:

الأولى: الإشارة إلى علة أفراد الله بالعبادة؛ لأنه كما أنه منفرد بالخلق؛ فيجب أن يفرد بالعبادة.

الثانية: الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام؛ لأنها لم تفطركم حتى تعبدوها؛ ففيها تعليل للتوحيد

الجامع بين النفي والإثبات، وهذه من البلاغة التامة في تعبير إبراهيم عليه السلام.

يستفاد من الآية أن التوحيد لا يحصل بعبادة الله مع غيره، بل لابد من إخلاصه لله،

والناس في هذا المقام ثلاثة أقسام:

قسم يعبد الله وحده. وقسم يعبد غيره فقط. وقسم يعبد الله وغيره.

والأول فقط هو الموحد.

الآية الرابعة: قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} الآية.

قوله: "أحبارهم": والمعطوف عليها المفعول الأول ل "اتخذوا"، والثاني: "أربابا"؛ أي:

هؤلاء اليهود والنصارى جعلوا أحبارهم ورهبانهم أربابا.

والأحبار: جمع حبر، وهو العالم، ويقال للعالم أيضا بحر لكثرة علمه.

قوله تعالى: "ورهبانهم"؛ أي: عبادهم.

وقوله: "أربابا": جمع رب، أي يجعلونهم أربابا من دون الله؛ فجعلوا الأحبار أربابا؛ لأنهم

يأتمرون بأمرهم في مخالفة أمر الله، فيطيعونهم في معصية الله.

وجعلوا الرهبان أربابا باتخاذهم أولياء يعبدونهم من دون الله.

قوله: "من دون الله"؛ أي: من غير الله.

الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} الآية.

قوله: "ومن الناس": من للتبعية، وعلامتها أن يصح أن يحل محلها بعض، والجار والمجرور

متعلق بمحذوف خبر مقدم، و "من يتخذ" مبتدأ مؤخر. أي من يجعل لله أندادا ومفعولها الأول

"أندادا" مؤخرا ومفعولها الثاني "من دون الله" مقديما.

وقوله: "يتخذ": جاءت بالإنفراد مراعاة للفظ "من". وقوله: "يحبونهم" أو بالجمع مراعاة

للمعنى.

وقوله: "أندادا": جمع ند، وهو الشبيه والنظير، ولهذا قال النبي ﷺ لمن قال له ما شاء الله وشئت: "أجعلتني لله ندا؟! بل ما شاء الله وحده".

وقوله: {مُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} هذا وجه المشابهة؛ أي: الندية في المحبة؛ يحبونهم كحب الله.

واختلف المفسرون في قوله: {كَحُبِّ اللَّهِ}.

ف قيل: يجعلون محبة الأصنام مساوية لمحبة الله، فيكون في قلوبهم محبة لله ومحبة للأصنام، ويجعلون محبة الأصنام كمحبة الله؛ فيكون المصدر مضافا إلى مفعوله. أي يحبون الأصنام كحبهم الله. وقيل: يحبون هذه الأصنام محبة شديدة كمحبة المؤمنين لله.

وسياق هذه الآية يؤيد القول الأول.

وقوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} على الرأي الأول يكون معناها: والذين آمنوا أشد حبا لله من هؤلاء؛ لأن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة هؤلاء فيها شرك بين الله وبين أصنامهم.

وعلى الرأي الثاني معناها: والذين آمنوا أشد حبا لله من هؤلاء لأصنامهم؛ لأن محبة المؤمنين ثابتة في السراء والضراء على برهان صحيح، بخلاف المشركين؛ فإن محبتهم لأصنامهم تتضاءل إذا مسهم الضر.

فما بالك برجل يحب غير الله أكثر من محبته لله؟! وما بالك برجل يحب غير الله ولا يحب الله؟!!

فجميع الحركات مبناها على المحبة؛ فالمحبة أساس العمل، فالإشراك في المحبة إشراك بالله.

### والمحبة أنواع:

**الأول:** المحبة لله وهذه لا تنافي التوحيد، بل هي من كماله، فأوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله. والمحبة لله هي أن تحب هذا الشيء؛ لأن الله يحبه، سواء كان شخصا أو عملا، وهذا من تمام التوحيد.

**الثاني:** المحبة الطبيعية التي لا يؤثرها المرء على محبة الله؛ فهذه لا تنافي محبة الله؛ كمحبة الزوجة، والولد، والوالد، ولهذا لما سئل النبي ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة". قيل: فمن الرجال؟ قال: "أبوها". ومن ذلك محبة الطعام والشراب واللباس.

الثالث: المحبة مع الله التي تنافي محبة الله، وهي أن تكون محبة غير الله كمحبة الله أو أكثر من محبة الله، بحيث إذا تعارضت محبة الله ومحبة غيره قدم محبة غير الله، وذلك إذا جعل هذه المحبة ندا لمحبة الله يقدمها على محبة الله أو يساويها بها.

الشاهد من هذه الآية: أن الله جعل هؤلاء الذين ساووا محبة الله بمحبة غيره مشركين جاعلين لله أندادا.

قوله: ﷻ " من قال لا إله إلا الله "

أي لا معبود حق إلا الله؛ فلفظ الجلالة بدل من الضمير المستتر في الخبر، ومن يرى أن "لا" تعمل في المعرفة يقولون: هو الخبر.

قوله: " وكفر بما يعبد من دون الله " : أي: بعبادة من يعبد من دون الله، قلنا ذلك؛ لأن عيسى بن مريم كان يعبد من دون الله، ونحن نؤمن به، لكن لا نؤمن بعبادته ولا بأنه مستحق للعبادة؛ كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ}.

وفي قوله: " وكفر بما يعبد من دون الله " : دليل على أنه لا يكفي مجرد التلغظ بلا إله إلا الله، بل لا بد أن تكفر بعبادة من يعبد من دون الله، بل وتكفر أيضا بكل كفر، فمن يقول: لا إله إلا الله، ويرى أن النصرى واليهود اليوم على دين صحيح؛ فليس بمسلم، ومن يرى الأديان أفكارا يختار منها ما يريد؛ فليس بمسلم، بل الأديان عقائد مفروضة من قبل الله عز وجل يتمشى الناس عليها، ولهذا ينكر على بعض الناس في تعبيره بقوله: الفكر الإسلامي، بل الواجب أن يقال: الدين الإسلامي أو العقيدة الإسلامية، ولا بأس بقول المفكر الإسلامي؛ لأنه وصف للشخص نفسه لا للدين الذي هو عليه.

قوله: " وشرح هذه الترجمة " : المراد بالشرح هنا: التفصيل، والترجمة: هي التعبير بلغة عن لغة أخرى، ولكنها تطلق باصطلاح المؤلفين على العناوين والأبواب، فيقال: ترجم على كذا؛ أي: بوب له.

.....

فيه مسائل:

فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة.  
منها آية الإسراء: بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين؛ ففيها بيان أن هذا هو  
الشرك الأكبر.

ومنها آية براءة: بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله. وبين  
أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد  
في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} فاستثنى من  
المعبودين ربه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاتة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً  
بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ  
النَّارِ}، ذكر أنهم يجون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يجون الله حبا عظيما، ولم يدخلهم في الإسلام  
فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟!!

ومنها قوله ﷺ: ((من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله))  
وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله)؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل  
ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك  
له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله. فإن شك أو توقف؛ لم  
يحرم ماله ولا دمه. فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما  
أقطعها للمنازع!.

### الشرح:

قوله: "فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي تفسير التوحيد":

فتفسير التوحيد أنه لا بد فيه من أمرين:

الأول: نفي الألوهية عن سوى الله عز وجل



**الثاني:** إثبات الألوهية لله وحده؛ فلا بد من النفي والإثبات لتحقيق التوحيد؛ لأن التوحيد جعل الشيء واحدا بالعقيدة والعمل، وهذا لا بد فيه من النفي والإثبات.

فإذا قلت: الله إله أثبت له الألوهية، لكن لم تنفها عن غيره؛ فالتوحيد لم يتم.

وإذا قلت لا إله إلا الله أثبت الألوهية لله ونفيتها عما سواه.

**قوله:** "تفسير الشهادة": الشهادة: هي التعبير عما يتقنه الإنسان بقلبه؛ فقول: أشهد أن لا إله

إلا الله؛ أي: أنطق بلساني معبرا عما يكنه قلبي من اليقين، وهو أنه لا إله إلا الله.

**قوله:** "منها آية الإسراء": وهي قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} الآية؛ فبين فيها الرد على

المشركين الذين يدعون الصالحين، وبين أن هذا هو الشرك الأكبر؛ لأن الدعاء من العبادة، قال تعالى:

{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} فدل على أن الدعاء

عبادة، لأن آخر الكلام تعليل لأوله، فكل من دعا أحدا غير الله حيا أو ميتا؛ فهو مشرك شركا أكبر.

**ودعاء المخلوق ينقسم إلى ثلاثة أقسام:**

**الأول:** جائز، وهو أن تدعو مخلوقا بأمر من الأمور التي يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة

معلومة؛ فهذا ليس من دعاء العبادة، بل هو من الأمور الجائزة، قال ﷺ " وإذا دعاك فأجبه "

**الثاني:** أن تدعو مخلوقا مطلقا، سواء كان حيا أو ميتا فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا شرك أكبر

لأنك جعلته ندا لله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: يا فلان! اجعل ما في بطن امرأتي ذكرا.

**الثالث:** أن تدعو مخلوقا ميتا لا يجيب بالوسائل الحسية المعلومة؛ فهذا شرك أكبر أيضا لأنه لا

يدعو من كان هذه حاله حتى يعتقد أن له تصرفا خفيا في الكون.

**قوله:** "ومنها: آية براءة: بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون

الله": وهذا شرك الطاعة، وهو بتوحيد الربوبية ألصق من توحيد الألوهية؛ لأن الحكم شرعيا

كان أو كونيا إلى الله تعالى؛ فهو من تمام ربوبيته، قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى

اللَّهِ}، وقال تعالى: {لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

**قوله:** "ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}

فاستثنى من المعبودين ربه" فدل هذا على أن التوحيد لا بد فيه من نفي وإثبات: البراءة مما سوى

الله، وإخلاص العبادة لله وحده

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاتة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله؛ فقال: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} وهي لا إله إلا الله؛ فكان معنى قوله: {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} هو معنى قول: لا إله إلا الله.

قوله: "ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}؛ فجعل الله المحبة شركا إذا أحب شيئا سوى الله كمحبته لله؛ فيكون مشركا مع الله في المحبة، ولهذا يجب أن تكون محبة الله خالصة لا يشاركه فيها أحد.

قال المؤلف: "فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! وكيف بمن لم يجب إلا الند وحده ولم يجب الله؟!".

فالأقسام أربعة:

الأول: أن يجب الله حبا أشد من غيره؛ فهذا هو التوحيد.

الثاني: أن يجب غير الله كمحبة الله، وهذا شرك.

الثالث: أن يجب غير الله أشد حبا من الله، وهذا أعظم مما قبله.

الرابع: أن يجب غير الله وليس في قلبه محبة لله تعالى، وهذا أعظم وأطم.

قوله: "ومنها: قول النبي ﷺ " من قال: لا إله إلا الله.. " إلخ: " إذا؛ فلا بد من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}.

قوله: " وكفر بما يعبد من دون الله " : أي: كفر بالأصنام، وأنكر أن تكون عبادتها حقا؛ فلا يكفي أن يقول: لا إله إلا الله، ولا أعبد صنما، بل لا بد أن يقول: الأصنام التي تعبد من دون الله أكفر بها وعبادتها.

فمن رضي دين النصراني دينا يدينون الله به؛ فهو كافر؛ لأنه إذا ساوى غير دين الإسلام مع الإسلام؛ فقد كذب قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}.

وبهذا يكون كافرا، وبهذا نعرف الخطر العظيم الذي أصاب المسلمين اليوم باختلاطهم مع النصراني، والنصارى يدعون إلى دينهم صباحا ومساء، والمسلمون لا يتحركون، بل بعض المسلمين الذين ما عرفوا الإسلام حقيقة يلبسون لهؤلاء: {وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدْهِنُونَ}، وهذا من المحنة التي أصابت المسلمين الآن، وآلت بهم إلى هذا الذل الذي صاروا فيه.

## ثانياً: التفسير

### سورة يس

مكية، آياتها ثلاث وثمانون آية

#### فضل سورة يس:

لم يثبت في فضل سورة يس بعينها أي حديث<sup>(١)</sup>، إنما شأنها شأن سائر سور القرآن، كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ" إلى غير ذلك من الفضائل<sup>(٢)</sup>.

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَحَيْثِي الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)}.

#### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
يس	من الحروف المقطعة التي لها معنى الله أعلم به.
	ذي الحكمة إذ وضع القرآن كل شيء في موضعه بعجيب النظم

(١) راجع على سبيل المثال السلسلة الضعيفة للعلامة الألباني أحاديث (٥٠، ١٦٩، ٣٥٥، ١٢٤٦، ١٢٤٨، ٣٢٦٠، ٣٢٩٣، ٤٦٣٦، ٥١١١، ٥٢١٩، ٥٨٦١، ٥٨٧٠، ٦٦٢٣).  
(٢) الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٩١٠).

القرآن الحكيم	وبديع المعاني.
تنزيل العزيز الرحيم	القرآن تنزيل العزيز في انتقامه ممن كفر به الرحيم بمن تاب
غافلون	لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الكفر والضلال، ولا يعرفون ما ينجيهم من ذلك وهو الإيمان وصالح الأعمال.
أغلا لا	ما تجمع وتشد به اليد إلى العنق للتعذيب.
فهي إلى الأذقان	أيديهم مجموعة إلى أذقانهم، والأذقان مجمع اللحين.
مقمحون	رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها.
فأغشيناهم فهم لا يبصرون	لا يقدرّون على إِبصار سبيل الهدى، إنهم عموا عن البعث، وعن قبول الشرائع الإلهية.
في إمام مبين	في اللوح المحفوظ، أو في صحائف الأعمال.

### التفسير والبيان:

"يس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" أي أقسم بالقرآن ذي الحكمة البالغة، المحكم بنظمه ومعناه بأنك يا محمد لرسول من عند الله على منهج سليم، ودين قويم، وشرع مستقيم لا عوج فيه. وفي هذا إشارة إلى أن القرآن هو المعجزة الباقية، وأن محمدا رسول الله ﷺ، صادق في نبوته، ومرسل برسالة دائمة من عنده.

"تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" أي هذا القرآن والدين والصراط الذي جئت به تنزيل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: "وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ" [الشورى ٥٢-٥٣]. وهذا دليل واضح على مكانة القرآن وأنه أجل نعمة من نعم الرحمن.

"لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ، فَهُمْ غَافِلُونَ" أي أرسلناك أيها النبي لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول نذير من قبلك، ولم يأت آباءهم الأقربين من ينذرهم ويعرفهم شرائع الله تعالى، فهم غافلون عن معرفة الحق والنور والشرائع التي تسعد البشر في الدارين.

لكن ذكرهم وحدهم هنا للعناية بهم وتوجيه الخطاب لهم: لا ينفي كونه مرسلًا إلى الناس كافة، بدليل الآيات والأحاديث المتواترة المعروفة في عموم بعثته ﷺ، مثل قوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا" [الأعراف ١٥٨]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"<sup>(١)</sup>.

"لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" لقد وجب العذاب على أكثر أهل مكة، وهو ما سجّل عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالقرآن وبمحمد ﷺ، وهم الذين علم الله أنهم يموتون على الكفر، ويصرون عليه طوال حياتهم.

"إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ" أي إنا جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالقيود، تمنعهم من فعل شيء، فصاروا مرفوعي الرؤوس خافضي الأبصار. وهذا يعني أن الله جعلهم كالمغلولين المقمحين الرافعي رؤوسهم الغاضي أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى الحق، ولا يوجهون أنظارهم نحوه، وهم أيضا كالقائمين بين سدين، لا يبصرون أمامهم ولا خلفهم، وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله.

"وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ"

بتعاليمهم عن النظر في آيات الله جعلوا كمن أحاط به سدان من الأمام والخلف، فهو لا يبصر شيئًا، وهؤلاء لا ينتفعون بخير، ولا يبتدون إليه لأننا غطينا أبصارهم عن الحق. ونتيجة لما سبق: "وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" أي إن إنذارك لهؤلاء

المصرين على كفرهم وعدمه سواء، فلا ينفعهم الإنذار، ما داموا غير مستعدين

لقبول الحق، والخضوع لنداء الله، والنظر في الدلائل الدالة على صدق رسالة النبي ﷺ،

والتأمل في عجائب الكون المشاهدة الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيته.

أما نفع الإنذار، فهو كما ذكر تعالى: "إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ" إنما ينفع إنذارك الذين آمنوا بالقرآن العظيم واتبعوا أحكامه وشرائعه،

(١) البخاري (٣٣٥) واللفظ له، ومسلم (٣/٥٢١).

وخافوا عقاب الله قبل حدوثه ومعانته أهواله، أو خشوا الله قبل رؤيته، فهؤلاء بشرهم بمغفرة  
لذنوبهم، ورضوان من الله، وأجر كريم ونعيم مقيم هو الجنة. ونظير الآية: "إِنَّ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ  
رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" [الملك ١٢].

"إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ" أي إننا قادرون فعلا على إحياء الموتى،  
وبعثهم أحياء من قبورهم، ونحن الذين ندون لهم كل ما قدموه وأسلفوه من عمل صالح أو  
سيء، وتركوا من أثر طيب أو خبيث، أي نكتب ونسجل أعمالهم التي باسروها بأنفسهم،  
وآثارهم التي أثروها وخلفوها من بعدهم، فنجزيمهم على ذلك إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فمن  
عمل على نشر الفضيلة جوزي بها، ومن عمد إلى نشر الرذيلة والسوء في الملاهي أو الكتب  
الخليعة يحاسب عليها.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ  
مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ  
وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ" <sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:  
إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" <sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر تعالى أن كتابة الآثار لا تقتصر على الناس، وإنما تتناول جميع الأشياء، فقال: "وَكُلُّ  
شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ" أي لقد ضبطنا وأحصينا كل شيء من أعمال العباد وغيرهم في أم  
الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي سجّل فيه جميع ما يتعلق بالكائنات، كما قال تعالى: "وَكُلُّ شَيْءٍ  
فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ" [القمر ٥٢-٥٣].

### أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

(١) مسلم (٦٩/١٠١٧).

(٢) مسلم (١٤/١٦٣١).

- ١- القرآن الكريم معجزة النبي ﷺ الخالدة إلى يوم القيامة، وهو تنزيل من رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- ٢- الرسول محمد ﷺ رسول من عند الله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، على منهج وطريق ودين مستقيم هو الإسلام.
- ٣- رسالة النبي ﷺ إلى العرب خاصة وإلى الناس كافة، فلم يبق بعدها عذر لمعتذر.
- ٤- رؤوس الكفر والطغيان والعناد وغيرهم استحقوا الخلود في النار لإصرارهم على الكفر، وإعراضهم عن النظر في آيات الله، وقد علم الله في علمه الأزلي بقاءهم على الكفر، لكنه أمر نبيه بدعوتهم إلى دينه لأنهم لا يعلمون سابق علم الله فيهم، ولتعليمنا المنهج في دعوة الناس قاطبة إلى الإيمان بالله والقرآن ورسالة النبي ﷺ والبعث والجزاء.
- ٥- نفع الإنذار لمن استعد للنظر في منهج الحق، ثم آمن بالقرآن كتاباً من عند الله، وخشي عذاب الله وناره قبل المعاينة والحدوث، فهذا وأمثاله يغفر الله له ذنبه، ويدخله الجنة.
- ٧- البعث حق والإيمان به واجب، والله قادر عليه، وسيكون مستند الجزاء ما كتب من أعمال العباد، وما تركوه من آثار صالحة أو سيئة، كما أن الله أحصى كل شيء وضبطه من أمور الكائنات، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

### قصة أصحاب القرية

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا نَطِيرِنَا بِكُمْ لَيْنٌ لَمْ نَنْتَهُوا لِنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِنَمَسَّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)}.

### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
أصحاب القرية	أنطاكية عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم.
فعززنا بثالث	قوينا أمر الرسولين ودعوتها برسول ثالث.
تطيرنا بكم	تشاء منا بكم وذلك لانقطاع الخير عنا بسبيكم.
لنرجمنكم	لنقذفنكم بالحجارة أو بالشمم والسباب.
طائركم معكم	شؤمكم معكم وهو كفركم بربكم.
أئن ذكرتم	ألكونكم وعظمت وخوفتم تطيرتم، وهذا توبيخ لهم.
مصرفون	متجاوزون للحد في الشرك والكفر والظلم.
ضلال مبين	بعد عن الحق مظهر لمن تأمله أنني ضللت، وقيل: واضح ظاهر.

### التفسير والبيان:

قوله تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا" أي واضرب أيها الرسول الكريم لقومك المصرين على الشرك والتكذيب لك ولما جئتهم به من الهدى ودين الحق "مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ" فإن حالهم في



التكذيب والغلو في الكفر والعناد كحال هؤلاء. ولم يأت دليل في الكتاب العزيز ولا السنة المطهرة بتسمية القرية، لكنها عند المفسرين أنطاكية -مدينة بالروم-، قال الماوردي: هذه القرية هي أنطاكية من قول جميع المفسرين<sup>(١)</sup>.

إذ جاءها رسل عيسى عليه السلام إذ بعث برسولين ثم لما آذوهما بعث إليهم بثالث تعزيراً لموقفهما كما قال تعالى: "فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" بادروهما بالتكذيب في الرسالة. فقالوا لأهل أنطاكية "إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ" من قبل عيسى عليه السلام ندعوكم إلى عبادة الرحمن وترك عبادة الأوثان ف "قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ" أي ما أنتم إلا تكذبون علينا في دعواكم أنكم رسل إلينا فقال الرسل: "رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ" فواجهوا شك القوم فيهم بما يدفع الشك من القسم، وتأكيده الخبر بالجملة الاسمية، ولام التوكيد وقالوا: "وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" أي البين الواضح، فإن قبلتم ما دعوناكم إليه فذلك حظكم من الخير والنجاة، وإن أبيتم فذلك حظكم من الهلاك والخسار. فرد أهل أنطاكية على الرسل قائلين: "إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ" أي تشاء منا بكم حيث انقطع المطر بسببكم.

وهذه عادة أهل الكفر والشرك ومن سلك مسلكاً لا يرضاه الله ولا يحبه، يرمون أهل الدين والصلاح من الرسل وأتباعهم بكل باطل وشر، ويوهمون الناس أن ما هم فيه من بؤس ونكد في الحياة وغيره من سوء الحال بسبب وجودهم بينهم، وما جاءوا به وما يدعون إليه، - بالرغم من أنهم ولدوا فيهم وعاشوا معهم سنين عدداً! - فسبب دعوتهم ينالهم السوء، وينزل بهم البلاء، وكانوا قبل ذلك في خير، قال ذلك قوم ثمود لصالح عليه السلام "قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ" [النمل: ٤٧]، وقالها قوم فرعون لنبي الله موسى عليه السلام: "وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ" [الأعراف: ١٣١]، وقالوها لنبينا محمد عليه السلام "وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ" [النساء: ٧٨] أي: أن الجذب الذي حل بنا -يا محمد- والمصائب والأمراض التي تفشت فينا؛ إنما هي بسببكم، وبشؤم وجودك، فمنذ أن جئتنا والبلايا تنزل علينا بلية تلو الأخرى. ونسي

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي (١٠/٥).

هؤلاء وغيرهم أن ما هم فيهم من كفر وظلم وغيره مما حرمه الله ونهى عنه سبب ذلك، ولكن الخذلان وعدم التوفيق، يصنع بصاحبه أعظم مما يصنع به عدوه.

ولا يخفى أن النبي ﷺ نهى عن التطير، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ"<sup>(١)</sup>.

فرد عليهم المرسلون بقولهم: "طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ" شؤمكم في كفركم وتكذيبكم، ولذ حبس الله عنكم المطر. ثم قالوا لهم موبخين لهم: "أَتِنَ ذُكْرُكُمْ" أي بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم وتطيرتم. بل أنتم أيها القوم "مُسْرِفُونَ" أي متجاوزون الحد في الكفر والشرك والعدوان.

وبعد أن تعزز موقف الرسل الثلاثة وأعطاهم الله من الكرامات، وأصبح لهم أتباع مؤمنون، غضب رؤساء البلاد وأرادوا أن يبطشوا بالرسل، وبلغ ذلك هذا الرجل الذي يسكن في طرف المدينة الأقصى - قيل اسمه: حبيب النجار-، جاء يشتد سعياً على قدميه، فأمر ونهى، وصارح القوم بإيانه وتوحيده، فقتلوه رفساً بأرجلهم قال تعالى: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" أي يمشي بسرعة لما بلغه من أن أهل البلاد قد عزموا على قتل الرسل الثلاثة وما إن وصل إلى الجماهير الهائجة حتى قال بأعلى صوته: "يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" وسأل الرسل: هل طلبتم على إبلاغكم دعوة عيسى أجراً؟ قالوا: لا. فقال لقومه: "اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ" أي: اتبعوا من نصحكم نصحا يعود إليكم بالخير، وليس يريد منكم أموالكم ولا أجراً على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه.

بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجره، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: "وَهُمْ مُهْتَدُونَ" لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه. فاتبعوهم تهتدوا بهدایتهم<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري (٥٧٠٧) واللفظ له، ومسلم (١٠٢/٢٢٢٠).

(٢) تفسير السعدي (٦٩٣).

وهذا من فضل الله على هذا الرجل أن جنده لنصرة الحق، كذلك فهذا من فضل الله على الدعاة إليه، إذ يقيض لهم من يأتي لمناصرتهم دون أن يطلبوا منه ذلك، فمن الذي حمل الرجل على أن يأتي من أطراف المدينة ويتكلم بكلمات الحق التي يناصر بها المرسلين ولا يبالي في نصرته الحق، بل ينطق به حتى يقتل؟ إن الذي سخره لذلك هو الله سبحانه<sup>(١)</sup>.

فكأن قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لاثمين له على اتباع الرسل، وإخلاص الدين لله وحده، فقال: "وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي" أي: وأي شيء يجعلني لا أعبد وهو خلقني "وَالِيهِ تُرْجَعُونَ" بعد موتكم فيحاسبكم ويجزيكم بعملكم. ثم اغتنم الفرصة ليدعوا إلى ربه فقال مستفهما: "أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً" أصناما وأوثانا لا تسمع ولا تبصر "إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا" وإن قل، ولا ينقذون مما أراده بي من ضر ونحوه "إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" إني إذا عبدت هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، لفي ضلال مبين واضح، لا يحتاج إلى دليل عليه.

فجمع في هذا الكلام، بين نصحهم والشهادة للرسول بالرسالة، والاهتداء والإخبار بتعيين عبادة الله وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها، والإعلان بإيماؤه جهرًا، مع خوفه الشديد من قتلهم<sup>(٢)</sup>، فقال: "إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ" أي: بخالقتكم ورازقتكم ومالك أمركم دون هذه الأصنام والأوثان، وهنا وثبوا عليه فقتلوه. لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به، فـ "قِيلَ" له في الحال: "ادْخُلِ الْجَنَّةَ" ولما قيل له ادخل الجنة، ورأى نعيمها ذكر قومه فقال مخبرًا بما وصل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه، وناصحًا لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته: "يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي" أي: بأي شيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، "وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" بأنواع المثوبات والمسرات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم.

(١) تفسير سورة يس للشيخ مصطفى العدوي (٤٢).

(٢) تفسير السعدي (٦٩٤).

فنصح قومه حيا وميتا، وهذا شأن المسلم الحسن الإسلام، والمؤمن الصادق الإيمان، ينصح ولا يغش، ويرشد ولا يضل، ومهما قالوا له وفيه، ومهما عاملوه به من شدة وقسوة.

### أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

- ١- تشابه الكفار في التكذيب والإصرار في كل زمان ومكان.
- ٢- لجوء أهل الكفر بعد إقامة الحجة عليهم إلى التهديد والوعيد.
- ٣- حرمة التطير والتشاؤم في الإسلام.
- ٤- بيان ما يلاقي دعاة التوحيد والدين الحق في كل زمان ومكان من شدائد وأهوال.
- ٥- وجوب إبلاغ دعوة الحق، والصبر على ما يلاقي العبد من أذى وبلاء، فالعوض ينسي ذلك بحسن المقصد والنية.
- ٦- بشرى المؤمن عند الموت لا سيما الشهيد فإنه يرى الجنة رأي العين.

### عاقبة مكذبي الرسل

{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلُّ لُجَّةٍ لَدِينَا مُخْضَرُونَ (٣٢)}.

### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
وما أنزلنا على قومه	على قوم حبيب بن النجار، من بعد موته.
من جند من السماء	من الملائكة لإهلاكهم والانتقام منهم.
وما كنا منزلين	الملائكة لإهلاك الأمم التي استوجبت الهلاك.
فإذا هم خامدون	ساكنون لا حراك لهم ميتون.
يا حسرة على العباد	يا حسرة العباد هذا أوان حضورك فاحضري وهذا غاية التألم والغم والندم. والعباد هم المكذبون للرسل.
كم أهلكنا	كم خبرية بمعنى كثيرا، أي أهلكنا قبلهم كثيرا.
أنهم إليهم لا يرجعون	(أَنَّهُمْ) المهلكين، (إِلَيْهِمْ) المكذبين، ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين بعد هلاكهم.
وإن كل لجة لدينا محضرون	وإن كل الخلائق إلا لدينا مجموعون يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم.

### التفسير والبيان:

هذه الآيات تتمة قصة أصحاب القرية، أبان الله تعالى فيها حال المكذبين رسلهم، وأوضح سنة الله في أمثالهم في العذاب الدنيوي، ثم ما يتعرضون له من العذاب الأخروي.

"وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ" أي: لم ننزل على قوم الرجل المؤمن من بعد قتلهم له، لدعوتهم إلى الإيمان بالله، جندا من الملائكة لإهلاكهم، وما كنا بحاجة إلى هذا الإنزال، بل كان الأمر أيسر علينا من ذلك، وقد سبق قضاؤنا بأن إهلاكهم

بالصيحة، لا بإنزال الجند، وهذا لتحقير شأنهم، فإن إنزال الملائكة لعظام الأمور، وهؤلاء لا يحتاجون لإهلاكهم جندا من السماء، بل أهلكتناهم بصيحة واحدة. كما قال تعالى: "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ" ما كان إهلاكهم وعقوبتهم إلا بصيحة واحدة صاح بهم جبريل، فأهلكهم، فإذا هم أموات لا حراك بهم، لكون الأمر هينا عند الله، وفيه إشارة إلى سرعة الهلاك.

"يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" أي: يا هؤلاء الذين كذبتهم الرسل تحسروا حسرة أليمة، واندموا على ما فعلتم، بسبب أنه ما جاء رسول يدعو إلى التوحيد والحق والخير؛ إلا استهزئ به، وكذب وجحد ما أرسل به من الحق، وهذا الندم وتلك الحسرة في يوم القيامة. وتنكير "حَسْرَةً" للتكثير. وسبب التحسر عليهم: أنهم لم يعتبروا بأمثالهم من الأمم الخالية. والمقصود بيان أن ذلك وقت طلب الحسرة، حيث ظهرت الندامة عند مواجهة العذاب ومعاينته.

ثم أذنب الله تعالى الأجيال الحاضرة والمستقبله فقال: "أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ" ألم يتعظ أهل مكة وغيرهم بمن أهلكتهم الله قبلهم من المكذبين للرسول، وأنهم لا رجعة لهم إلى الدنيا، كالدَّهْرِيَّةِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ جَهْلًا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَعُودُونَ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا كَانُوا فِيهَا، كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ" [الجاثية ٢٤].

ثم أعلمهم أيضا بوجود الحساب والعقاب في الآخرة بعد عذاب الدنيا، فقال تعالى: "وَإِنْ كُلُّ لَمَامٍ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ" أي وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله عز وجل، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرا وشرها، وهذا كقوله عز وجل: "وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ" [هود ١١١]. وهذا دليل على أنه ليس من أهلكتهم الله تركه، بل بعده جمع وحساب، وحبس وعقاب، ولو أن من أهلكت ترك لكان الموت راحة.

### أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

- ١- إن تكذيب الرسل ما جاؤوا به من الحق يستدعي مزيد الألم والندامة والحسرة.
- ٢- حرمة الاستهزاء بما هو من حرمات الله تعالى التي يجب تعظيمها.
- ٣- إن يوم القيامة يوم الجزاء والحساب والثواب والعقاب الدائم.

٤- طلب العبرة من أخبار الماضين وأحوالهم، والعامل من اعتبر بغيره.

٥- تقرير المعاد والحساب والجزاء.

### أدلة القدرة الإلهية على البعث وغيره

{وَأَيَّةٌ هُمْ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَأَيَّةٌ هُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) وَأَيَّةٌ هُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ (٤٤)}.

### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
الأرض الميتة أحييناها	التي لا نبات فيها، أحييناها بالهاء فصارت حية بالنبات، بإنزال المطر عليها.
وما عملته أيديهم	إما ان تكون ما نافية، والمعنى: لم تصنعه أيديهم وإنما هو صنع الله وخلقته. أو موصولة، والمعنى: ما عملته أيديهم مما يتخذ منه كالعصير ونحوه.
ومما لا يعلمون	من المخلوقات كالتي في السماوات وتحت الأراضين.
نسلخ	النسخ: الإزالة والإخراج، علامة على إمكان البعث
ذلك تقدير العزيز العليم	ذلك الجري تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، العليم المحيط علمه بكل معلوم.
رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في	

الشمايخ.	عاد كالعرجون القديم
في سرعة سيره، فتجتمع معه في الليل، وحرف النفي "لا" للدلالة على أنها مسخرة.	لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر
ذريات قوم نوح، نجينا ذريتهم لأنهم مؤمنون موحدون وأغرقنا آباءهم لأنهم مشركون.	حلمنا ذريتهم
سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف.	المشحون
من مثل فلك نوح ما يركبون كالسيارات والطائرات.	وخلقنا لهم من مثله
مغيث ينجيهم فيكف صراخهم.	فلا صريخ لهم
وتمتيعا لهم بالطعام والشراب إلى نهاية آجالهم.	ومتاعا إلى حين
من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة.	اتقوا ما بين أيديكم
من عذاب الآخرة إذا أصررتهم على الكفر والتكذيب.	وما خلفكم

### التفسير والبيان:

بعد أن ذكر الله تعالى ما يدل على الحشر بإحضار جميع الأمم إليه يوم القيامة للحساب والجزاء، ذكر ما يدل على إمكان البعث بإنبات النبات من الأرض الجذباء بالمطر، وإيجاد البساتين وتفجير الأنهار، لتوفير سبل المعاش بها، مما يستدعي شكرهم على تلك النعم.

ثم ذكر آيات دالة على قدرته العظيمة من أحوال الأزمنة، وذكر ما يدل على القدرة المقترنة بالرحمة وهو تنقل الأولاد والأجيال في السفن العابرة مياه البحار.

قال الله تعالى: "وَأَيُّهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ" ومن العلامات الدالة على وجود الله وقدرته على البعث وإحياء الموتى: إحياء الأرض الهامدة التي لا نبات فيها، بإنزال الماء عليها، وجعلها تموج وتمتز بالنبات المختلف الألوان والأشكال، وإخراج الحب الذي هو رزق للعباد ولأنعامهم، وهو معظم ما يؤكل، وأكثر ما تقوم به الحياة والمعاش.

وكما نحیی الأرض المیتة نحیی الموتی.



"وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ" وأوجدنا في الأرض التي أحييناها بساتين من نخيل وأعناب وغيرها، وجعلنا فيها أنهارا موزعة في أماكن مختلفة، يحتاجون إليها. وخصص النخيل والأعناب بالذكر من بين سائر الفواكه، لأن ألد المطعوم الحلاوة، وهي فيها أتم، ولأن التمر والعنب قوت وفاكهة خلافا لغيرهما، ولأنها أعم نفعا.

"لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ" أي: إن القصد من إنشاء الحب والجنات أن يأكل المخلوقون من ثمر المذكور من النخيل والأعناب، ويأكلوا مما صنعتها أيديهم من تلك الغراس والزروع أو الحبوب والثمار، كالعصير ونحوه، وما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم، لا بقدرتهم وقوتهم، فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟! وهذا أمر بالشكر من طريق إنكار تركه.

ثم نبه إلى أنهم لم يقتنعوا بالترك، بل عبدوا غيره، وأتوا بالشرك، فقال: "سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ" أي تنزيها عن الشريك لله الذي خلق الأنواع والأصناف كلها من مختلف الألوان والطعوم والأشكال، من الزروع والثمار والنبات، وخلق من النفوس الذكور والإناث، وخلق مخلوقات شتى لا يعرفونها، كما قال تعالى: "وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" [النحل ٨]، وقال عز وجل: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" [الذاريات ٤٩].

**والخلاصة:** أن خالق هذا الخلق العظيم من إنسان وحيوان ونبات وخالق أشياء لا نعلمها منزه عن الشريك والنظير، قادر على كل شيء، وفي الآية الأمر بالتنزيه عما لا يليق بالله تعالى، كالأمر بالشكر في الآية المتقدمة.

وبعد الاستدلال على إمكان البعث والحشر بأحوال الأرض المكانية، ذكر تعالى أدلة أربعة من أحوال الأزمنة، فقال:

١- "وَأَيَّةٌ هُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ" أي ومن أدلة قدرته تعالى العظيمة: خلق الليل والنهار، وتعاقب الليل والنهار دائبين، فينزع النهار من الليل فيأتي بالضوء وتذهب الظلمة، وينزع الليل من النهار، فيصبح الخلق في ظلمة ويذهب الضوء، وهكذا يتعاقبان، كما قال تعالى: "يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا" [الأعراف ٥٤]، نتيجة لدوران الأرض حول محورها من

الغرب إلى الشرق، فتشرق الشمس على نصف الكرة الأرضية، وتغيب عن النصف الآخر، وفي كل من الظلمة والنور نفع وخير، ففي الظلام ترك العمل وسكون النفس والراحة من العناء، وفي النور متعة ولذة وحركة وعمل من أجل كسب الرزق.

وقوله: "فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ" إذا للمفاجأة، أي فهم داخلون في الظلمة مفاجأة وبغته، لا يد لهم بعدئذ، ولا بد من الدخول فيه.

٢- "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" وآية مستقلة دالة على قدرته تعالى دوران الشمس في فلكها إلى نهاية مدارها، وذلك الدوران تقدير من الله القاهر الغالب كل شيء، المحيط علمه بكل شيء.

المستقر فيه قولان: الأول: مستقرها المكاني، وهو تحت العرش.

والثاني- أن المراد مستقرها الزماني وهو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة.

٣- "وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" جعل الله للقمر منازل يسير فيها سيرا آخر، وهي ثمانية وعشرون منزلا، ينزل كل ليلة في واحد منها، ثم يستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما، وليلة واحدة إن كان تسعة وعشرين يوما، فإذا صار القمر في آخرها دق وصغر واصفر وتقوس، وعاد إلى أولها، حتى صار كالعرجون القديم: وهو الغصن الذي عليه طلع النخلة، وهو أصفر عريض يعوج، ويقطع منه الشماريخ، يبقى على النخل يابسا.

ويستدل بمنازل القمر على مضي الشهور، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار، كما قال عز وجل: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ" [البقرة ١٨٩]، وقال تعالى: "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانَاهُ تَفْصِيلًا" [الإسراء ١٢]. والشمس تطلع كل يوم، وتغرب في آخره، ولكن تنتقل في مطالعها ومغارها صيفا وشتاء، يطول بسبب ذلك النهار، ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار. وأما القمر فقدرة منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور، ثم يزداد نورا في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء مقتبسا

من الشمس، حتى يتكامل في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون النخل القديم.

٤- "لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" لا يصح ولا يسهل لكل من الشمس والقمر أن يدرك أحدهما الآخر، لأن لكل منهما مدارا مستقلا، لا يجتمع مع الآخر فيه، ولا تسبق آية الليل وهي القمر آية النهار وهي الشمس، لأن لكل منهما مجالا وسلطانا.

وكل من الشمس والقمر والأرض يسبح ويدور في فلكه في السماء، فالشمس تسير في مدار لها وتتم دورتها في سنة، والقمر يدور حول الأرض كل شهر في مدار نصف قطره، والأرض تدور حول الشمس في سنة، وحول نفسها في يوم وليلة.

وهذا دليل على أن الله جعل لكل من الشمس والقمر والأرض مدارا مستقلا يدور فيه، فلا يجب أحدهما ضوء الآخر إلا نادرا حينما يحدث كسوف الشمس أو خسوف القمر.

وبعد بيان الدليل المكاني وهو الأرض والأدلة الزمنية الأربعة المتقدمة، أتى تعالى بدليل آخر على قدرته، وهو تسيير الإنسان في البحر كما يسير في البر، كما قال تعالى: "وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" [الإسراء ٧٠] وقال هنا: "وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمُسْحُونَ" أي: ومن دلائل قدرته ورحمته تبارك وتعالى تسخيره البحر ليحمل السفن، وركوب الذرية، أي الأولاد في السفن المملوءة بالبضائع التي ينقلونها من بلد إلى آخر، لتوفير القوت والمعاش، كما قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" [لقمان ٣١].

وقيل: الذرية: أبائهم الذين حملوا في سفينة نوح عليه السلام، وهي السفينة المملوءة بالأمته والحيوانات التي أمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، حفاظا على أصول المخلوقات. والمعنى: أن الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم في سفينة نوح.

"وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ" أي وخلقنا للناس مثل تلك السفن سفنا برية وهي الإبل، فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبون عليها، لكن قال الرازي: الضمير في مثله عائد إلى الفلك، على قول الأكثرين، فيكون هذا كقوله تعالى: "وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا" [ص ٥٨]، وعلى هذا فالأظهر أن يكون المراد الفلك الآخر الموجود في زمانهم، وليس المراد الإبل، ويؤيد هذا قوله

تعالى هنا: "وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ". ولو كان المراد الإبل، لكان قوله: "وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ" فاصلا بين متصلين.

ويحتمل أن يعود الضمير إلى معلوم غير مذكور تقديره: من مثل ما ذكرنا من المخلوقات، مثل قوله تعالى هنا: "لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ" وعلى هذا، الآية تشمل كل وسائل النقل الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات. ونظير الآية قوله تعالى: "وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" [النحل ٨].

ودليل رحمته ولطفه تعالى حفظ الركاب في تلك الوسائط، فقال: "وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ، فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ" أي وإن نرد إغراقهم في الماء مع حمولاتهم، فلا مغيث لهم يغيثهم مما هم فيه، أو ينجيهم من الغرق، ولا هم ينقذون مما أصابهم.

"إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ" إلّا هنا: استثناء منقطع، تقديره: ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر، ونحفظكم من الغرق، ونسلمكم إلى أجل مسمى، ونمتعكم بالحياة الدنيا إلى وقت معلوم عند الله عز وجل، وهو الموت.

### أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

- ١- من الأدلة الدالة على وجود الله وتوحيده وكمال قدرته على البعث وإحياء الموتى وغير ذلك: إحياء الأرض الهامدة بالنبات الأخضر، وإخراج الحب منه، الذي هو قوام الحياة وأساس القوت والمعاش إلى غير ذلك من دلائل قدرته.
- ٢- تستوجب هذه النعم شكر الخالق المنعم المتفضل، وشكره بعبادته، والإذعان لسلطانه وإرادته.
- ٣- يجب تنزيه الخالق عما لا يليق به، والبعد عن صنيع الكفار الذين عبدوا غير الله، مع ما رأوا من نعمه وآثار قدرته.
- ٤- إن آثار قدرة الله ومظاهرها في العالم كثيرة، منها خلق النباتات والثمار المختلفة، ومنها خلق الأولاد والأزواج أي ذكورا وإناثا، ومنها خلق أصناف أخرى لا يعلمها البشر في البر والبحر والسماء والأرض. وإذا كان الله قد انفرد بالخلق، فلا ينبغي أن يشرك به.
- ٥- عجل الله عذاب الأمم السالفة، وأخر عذاب أمة محمد ص، وإن كذبوه، إلى يوم القيامة، تكريها لهذا الرسول ﷺ.

### موقف الكفار من تقوى الله وآيات الله والشفقة على خلق الله

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)}.

#### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
اتقوا ما بين أيديكم	من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة.
وما خلفكم	من عذاب الآخرة إذا أصررتهم على الكفر والتكذيب.
وما تأتيهم من آية	من حجة أو بيّنة من حجج القرآن الدالة على توحيد الله وصدق الرسل إلا كانوا معرضين غير ملتفتين ولا مباليين.
وإذا قيل لهم أنفقوا	تصدقوا على الفقراء من الأموال التي رزقكم الله.
أنطعم من لو يشاء الله أطعمه	استفهام أريد به التهكم، قالوا للمؤمنين استهزاءً بهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه.
إن أنتم إلا في ضلال مبين	ما أنتم أيها الفقراء إلا في ضلال مبين فيما تعتقدون.

#### التفسير والبيان:

يخبر الله تعالى عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم الماضية، ولا بما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة، فيقول: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" إذا قيل لهؤلاء المعرضين عن آيات الله، المكذبين بها: احذروا أن يصيبكم مثلما أصاب من قبلكم من الأمم، مما هو قدامكم، من الآفات والنوازل وعذاب الدنيا، وخافوا ما أنتم مقدمون عليه بعد الهلاك من عذاب الآخرة، إذا أصررتهم على الكفر حتى الموت، لعل الله يرحمكم باتقائكم ذلك، ويحميكم من عذابه، ويغفر لكم.

إذا قيل لهم ذلك أعرضوا عنه، وإذا قيل لهم: اتقوا لا يتقون.

وليس إعراضهم مقتصرًا على ذلك، بل هم عن كل آية معرضون، كما قال تعالى: "وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ" وما تجيء هؤلاء المشركين آية من آيات الله على التوحيد وصدق الرسل إلا شأنهم الإعراض عنها، وعدم الالتفات إليها، وترك التأمل بها، وعدم الانتفاع بها، لتعطيل الفكر والنظر المرشد إلى الإيمان وتصديق الرسول ﷺ.

وفضلاً عن سوء الاعتقاد بالله ورسوله ﷺ، تركوا الشفقة على خلق الله، كما قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ؟" إذا طُلبَ منهم الصدقة، وأُمرُوا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج، أجابوا المؤمنين استهزاء بهم، وتهكما بقولهم: هؤلاء الذين أمرتونا بالإنفاق عليهم: لو شاء الله لأغناهم، ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم.

وكان هذا الاحتجاج باطلاً، لأن الله تعالى إذا مَلَكَ عبداً مالا، ثم أوجب عليه فيه حقاً، فكأنه انتزع ذلك القدر منه، فلا معنى للاعتراض. وقد صدقوا في قولهم: لو شاء الله أطعمهم، ولكن كذبوا في الاحتجاج بذلك.

وقوله: "مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ" ترغيب في الإنفاق، فإن الله رزقكم، فإذا أنفقتم فهو يخلف لكم الرزق ثانياً كما رزقكم أولاً، وهو أيضاً ذم على البخل الذي هو في غاية القبح، وفي هذا ذم لهم على ترك الشفقة على خلق الله.

ومع هذا كله، عابوا الأمرين لهم بالإنفاق واتهموهم بالضلال، فقالوا تنمة لكلامهم: "إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" أي ما أنتم في أمركم لنا بالإنفاق إلا في خطأ واضح، وانحراف عن جادة الهدى والرشاد.

وقوله: "إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا" يفيد الحصر. وهذا فهم خطأ من المشركين، لأن حكمة الله اقتضت تفاوت الناس في الرزق، فهو يقبض الرزق عمن يشاء، ويبسطه لمن يشاء، "وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ" [الشورى ٢٧]، فقد أغنى قوماً، وأفقر آخرين، وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالعطاء والشكر: "فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْغُسْرَى" [الليل ٥-١٠].

ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المؤمنين، وردوا عليهم، فقال لهم: "إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" والله أعلم.

### أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

- ١- إن المشركين قوم تبادوا في الغي والضلال والعناد والكبر، ولم يتأملوا في أحداث الماضي، ووقائع الزمان، وأحوال الأمم التي أهلكتهم الله بتكذيبهم رسلهم، ولم ينظروا في مستقبل الحياة الآخرة، فتراهم إذا قيل لهم: اتقوا الله، لا يتقون.
- ٢- وهم أيضا شأنهم ودينتهم الإعراض عن آيات الله، والتكذيب لها، وعدم الانتفاع بها، لتركهم النظر المؤدي إلى الإيثار بالله وتصديق الرسول ﷺ.
- ٣- كما أنهم أخلوا بتعظيم الخالق، حرموا العطف والشفقة على الإنسانية، وانعدمت عندهم عاطفة الرحمة بال مخلوقات، إذ قيل لهم: أنفقوا مما رزقكم الله، فبخلوا وتهكموا، وهو شأن البخلاء في كل عصر.

### إنكار الكفار يوم البعث وبيان أنه حق لا شك فيه

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)}.

### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
متى هذا الوعد	ما وعدتمونا به وهو وعد البعث الآخر.
ما ينظرون إلا صيحة واحدة	ما ينتظرون إلا نفخة إسرافيل الأولى في الصور.
تأخذهم وهم يخصمون	يتخاصمون في البيع والشراء وغيره إذ تأتيهم بغتة.
فلا يستطيعون توصية	فلا يقدر أحدهم أن يوصي وصية.
ولا إلى أهلهم يرجعون	بل يهلكون في أماكنهم من الأسواق والمصانع وغيرها.

ونفخ في الصور	نفخ فيه النفخة الثانية للبعث.
فإذا هم من الأحداث	القبور إلى ربهم ينسلون أي يخرجون بسرعة.
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا	يا هلاكنا من بعثنا من قبورنا؟ والمرقد ما بين النفختين.
هذا ما وعد الرحمن	هذا ما وعد به الرحمن وصدق المرسلون فيما أخبروا به.

### التفسير والبيان:

يخبر الله تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" أي: ويقول المشركون استعجالا للبعث استهزاء وسخرية وتهكما بالمؤمنين: متى يأتي هذا الوعد بالبعث الذي وعدتمونا به، وتهددونا به، إن كنتم صادقين فيما تقولون وتعدون؟! والخطاب للرسول ﷺ والمؤمنين الذين دعواهم إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر، فأجابهم الله تعالى: "مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ" أي: ما ينتظرون للعذاب والقيامة إلا نفخة واحدة في الصور، وهي النفخة الأولى، هي نفخة الفزع والموت، التي يموت بها جميع أهل الأرض فجأة، وهم يختصمون فيما بينهم في البيع والشراء ونحوهما من أمور الدنيا أي وهم متشاغلون في شؤون الحياة من معاملة وحديث وطعام وشراب وغير ذلك، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة. كما قال تعالى: "فَأَخَذْنَا هُمْ بِعَثَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" [الأعراف ٩٥] وقال سبحانه: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" [الزخرف ٦٦]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: "لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا" [الأنعام: ١٥٨] وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتْبَاعَانِهِ، وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقَحْتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا" (١).

(١) البخاري (٦٥٠٦) واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٤/١٤٠).



ثم أبان تعالى سرعة حدوث الموت العام أو الصيحة، فقال: "فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً" إذا أخذتهم وقت غفلتهم، فإنهم لا يُنظَرُونَ ولا يُمَهَّلُونَ، لا قليلة ولا كثيرة "وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ" لا يستطيع بعضهم أن يوصي إلى بعض بها له من أملاك وما عليه من ديون، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم، ولا يتمكنون من الرجوع إلى منازلهم التي كانوا خارجين عنها.

ثم أخبر الله تعالى عن نفخة ثانية فقال: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ" أي ونفخ في الصور نفخة ثانية للبعث والنشور من القبور، فإذا جميع المخلوقين يخرجون من القبور، يسرعون المشي إلى لقاء ربهم للحساب والجزاء، لا يتمكنون من التأنّي والتأخر، وفي تلك الحال، يحزن المكذبون، ويظهرون الحسرة والندم، ويقولون: "يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا" من رقدتنا في القبور، فيجابون، فيقال لهم: "هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ" هذا الذي وعدكم الله به، ووعدتكم به الرسل، فظهر صدقهم رأْيَ عين.

ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: "الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ" وقوله: "وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ" ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا.

"إِنْ كَانَتْ" البعثة من القبور "إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" النفخة الأولى ينفخ فيها إسرافيل في الصور، فتتحيا الأجساد، "فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ" الأولون والآخرون، والإنس والجن، ليحاسبوا على أعمالهم.

"فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا" لا ينقص من حسناتها، ولا يزداد في سيئاتها، "وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" من خير أو شر، فمن وجد خيرا فليحمد الله على ذلك، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

**أرشدت الآيات إلى ما يأتي:**

- ١- كان الرد الحاسم على استعجال الكفار قيام الساعة استهزاء أنها تأتي فجأة كلمح البصر أو هي أقرب، وتحدث بنفخة واحدة هي نفخة إسرائيل في وقت يختصم الناس في أمور دنياهم، فيموتون في مكانهم. وهذه نفخة الصّعق.
- ٢- من آثار الموت المفاجئ بتلك النفخة أنهم لا يتمكنون من العودة إلى ديارهم إذا كانوا خارجين منها، ولا يستطيعون أن يوصوا غيرهم بما لهم وما عليهم. وقيل: لا يستطيع أن يوصي بعضهم بعضا بالتوبة، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم.
- ٣- النفخة الثانية أيضا وهي نفخة البعث والنشور سريعة جدا، فإذا حدثت تجمّع الناس جميعا وحضروا مسرعين إلى لقاء ربهم للحساب والجزاء.
- ٤- الحساب حق وعدل، والجزاء قائم على العدل المطلق، فلا ينقص من ثواب العمل أي شيء مهما قل، ولا يجزى الناس إلا على وفق ما عملوا من خير أو شر.

### جزاء المحسنين

"إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨)".

### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
في شغل	الشغل: الشأن الذي يشغل الإنسان عما سواه، إما لمسة أو لمساءة. والشغل هنا: شغل متعة، لا شغل تعب، لأن الجنة لا نصب فيها.
فاكهون	ناعمون بالتلذذ بالنعم وذلك لطيب العيش.
ظلال	جمع ظل، وهو ما لا تصيبه الشمس.
الأرائك	الأسرة ذات الحجلة، والأسرة جمع سرير، والحجلة أشبه بما يعرف بالناموسية، كالغرفة من حرير تحيط بالسرير.
متكئون	جالسون جلسة الاتكاء وهي إما الميل بأحد الشقين على السرير أو غيره، وإما التربع. مما يدل على راحة البال والهدوء.
ما يدعون	ما يتمنون ويطلبون ويسألون.
سلام قولاً	سلام من الله عليهم يقوله الله قولاً لهم بنفسه ﷻ.

### التفسير والبيان:

بعد أن بين الله تعالى حدوث البعث لا شك فيه، وما يكون في يوم القيامة من الجزاء

العادل، بين هنا ما أعدّه للمحسنين، ترغيباً في العمل الصالح.

فقال سبحانه يخبر عن بعض النعيم الذي يعيشه أهل الجنة: "إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ" أي: إن المؤمنين الصالحين إذا نزلوا في روضات الجنات يوم القيامة، كانوا في انشغال عما فيه أهل النار بما يتمتعون به من اللذات، والنعيم المقيم، والفوز العظيم، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، "هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ" أهل الجنة لهم فيها فاكهة على اختلافها، وهم فيها ما يتمنون ويسألون ويطلبون وليس هذا التمتع لهم وحدهم

وإنما هم في أنس وسرور مع أزواجهم من أهل الجنة في الجنة. قال تعالى: "هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِيُونَ" أي: إنهم وحلائلهم في الجنة في ظلال الأشجار التي لا تصيبها الشمس، لأنه لا شمس فيها، وهم فيها متكئون على السرر المستورة بالخيام والحجال.

والمتعة ليست روحية فقط وإنما مادية أيضا، فقال تعالى: "لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ" أي: تقدم لهم الفواكه من جميع أنواعها، وهم غير ذلك كل ما يتمنون ويشتهون، فمهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملائكة.

وقوله: "لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ" ولم يقل "يأكلون" إشارة إلى اختيارهم وملكتهم وقدرتهم.

ومن أعظم النعم سلام الله عليهم، قال تعالى: "سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ" أي إن ما يتمنونه هو تحية الله لهم بالسلام أي الأمان من كل مكروه، يقول لهم: سلام عليكم يا أهل الجنة، كما قال تعالى: "مَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ" [الأحزاب ٤٤]. أو بوساطة الملائكة، كما قال تعالى: "وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ" [الرعد ٢٣-٢٤]. والمعنى: أن الله يسلم عليهم بوساطة الملائكة، أو بغير وساطة، مبالغة في تعظيمهم، وذلك متمناهم. وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك. فترجو ربنا أن لا يجرمنا ذلك النعيم، وأن يتمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

### جزاء الجرمين

{وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨)}.

### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
وامتازوا اليوم أيها المجرمون	انفردوا عن المؤمنين، وانحازوا على جهة، تميزوا- انفصلوا - انزلوا- ابتعدوا.
ألم أعهد إليكم	ألم أوصكم - أمركم - أخذ عليكم عهدا.
أضل منكم جبلا كثيرا	صرف عن الحق منكم يا بني آدم خلقا وأما.
أفلم تكونوا تعقلون	لم تعقلوا عداوته لكم، وهو استفهام إنكاري توبيخي.
نختم	نطبع، ونمنعهم من الكلام.
لطمسنا على أعينهم	ولو أردنا طمس أعين هؤلاء المشركين المجرمين لفعلنا.
فاستبقوا الصراط	ابتدروا الطريق - اتجهوا إلى الطريق ليسيروا فيه.
ولو نشاء لمسخناهم	غيرنا وبدلنا خلقهم إلى صور أخرى كحجارة أو قرده.
على مكانتهم	في مكانهم - على هيتتهم - في بيوتهم.

### التفسير والبيان:

يخبر الله تعالى عن حال الكفار يوم القيامة بتمييزهم عن المؤمنين في موقفهم، فيقول: "وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ" أي يقال للمجرمين الكافرين في الآخرة: تميزوا في موقفكم عن المؤمنين، كما قال تعالى في آية أخرى: "وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا

بَيْنَهُمْ" [يونس ٢٨] وقال سبحانه: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَتَفَرَّقُونَ" [الروم ١٤] "يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ" [الروم ٤٣]، أي يصيرون صدعين فرقتين.

أو المراد: يمتاز المجرمون بعضهم عن بعض، فاليهود فرقة، والنصارى فرقة، والمجوس فرقة، والصابئون فرقة، وعبدة الأوثان فرقة، والهاديون والملحدون فرقة، وهكذا.

ثم أبان الله تعالى سبب تمييزهم عن غيرهم، موبخا ومقرعا لهم على كفرهم، فقال: "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ" أي: ألم أوصكم وأمركم وأتقدم إليكم على لسان الرسل يا بني آدم ألا تطيعوا الشيطان فيما يوسوس به إليكم من معصيتي ومخالفة أمري، فإن الشيطان ظاهر العداوة لكم، بدءا من أبيكم آدم عليه السلام.

وبعد النهي عن عبادة غير الله أمر تعالى بعبادته، فقال: "وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ" أي وأن وحدوني وأطيعوني فيما أمرتكم به، ونهيتكم عنه، وهذا المأمور به والمنهي عنه هو الطريق المعتدل القويم، وهو دين الإسلام.

ثم أخبر الله تعالى عن مساعي الشيطان في إضلال السابقين، فقال: "وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا، أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ" أي: لقد أغوى الشيطان خلقا كثيرا، وزين لهم فعل السيئات، وصددهم عن طاعة الله وتوحيده، أفلم تعقلوا عداوة الشيطان لكم، وتبتعدوا عن مثل ضلالات السابقين، حتى لا تعذبوا مثلهم.

ثم بين الله تعالى مآل أهل الضلال قائلا لهم يوم القيامة تقريرا وتوبيخا: "هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ" أي هذه النار التي وعدتم بها في الدنيا وحذرتكم منها على ألسنة الرسل فكذبتموهم، وقد برزت لهم لإرهابهم، "أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" ادخلوها وذوقوا حرها اليوم، بسبب كفركم بالله في الدنيا، وتكذيبكم بها، وطاعتكم للشيطان، وعبادتكم للأوثان.

وفي هذا الكلام إشارة إلى شدة ندامتهم وحسرتهم من وجوه ثلاثة:

١- قوله تعالى: "أَصْلَوْهَا" وهو أمر تنكيل وإهانة، كقوله تعالى لفرعون: "ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ" [الدخان ٤٩].

٢- قوله تعالى: "الْيَوْمَ" الذي يدل على أن العذاب حاضر، وأن لذاتهم قد مضت، وبقي العذاب اليوم.

٣- قوله تعالى: "بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ" الذي ينبئ عن الكفر بنعمة عظيمة، وحياء الكفور من المنعم من أشد الآلام، كما قال بعضهم:

أليس بكاف لذي نعمة... حياء المسيء من المحسن

ثم أبان الله تعالى مدى مواجعتهم بالجرم الذي ارتكبهوه دون أن يستطيعوا إنكاره، فقال: "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" أي في هذا اليوم الرهيب، يختم الله على أفواه الكافرين والمنافقين ختما لا يقدرُونَ معه على الكلام، ويستنطق جوارحهم بما عملت، فتتطق أيديهم وأرجلهم بما اقترفت، ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت أعوانا لهم على المعاصي، صارت شهودا عليهم.

وجعل الكلام للأيدي والشهادة للأرجل، لأن أكثر الأفعال تتم بمباشرة الأيدي، كما قال تعالى: "وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ" [يس ٣٥] وقال سبحانه: "وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" [البقرة ١٩٥] أي ولا تلقوا بأنفسكم.

والشاهد على العمل ينبغي أن يكون غيره، فجعل الأرجل والجلود من جملة الشهود، لتعذر إضافة الأفعال إليها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟" قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "مِنْ مُحَاطَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: يَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: يَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهودًا، قَالَ: فَيَخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ يَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكَنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ" (١).

(١) مسلم (١٧/٢٩٦٩).

ثم أوضح الله تعالى بعض مظاهر قدرته عليهم من إذهاب البصر والمسح وسلب الحركة، فقال: "وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ" أي ولو نريد لأذهبنا أعينهم وأعميناهم، فصاروا لا يبصرون طريق الهدى، فلو بادروا إلى الطريق المألوفة لهم ليسلكونها، لم يستطيعوا، وكيف يبصرون الطريق وقد ذهبت أبصارهم؟

"وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ" أي لو شئنا لبدلنا خلقهم، وحولنا صورهم إلى صور أخرى أقبح منها كالقردة والخنزير، وهم في أمكتهم ومواضعهم التي هم فيها يرتكبون السيئات، فلا يتمكنون من الذهاب والمضي أمامهم، ولا الرجوع وراءهم، بل يلزمون حالا واحدا، لا يتقدمون ولا يتأخرون.

ثم حذرهم من تفويت فرصة الشباب والعمر، فقال تعالى: "وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ" أي: ومن نطل عمره، نرده إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط، أفلا يدركون ويتفكرون أنهم كلما تقدمت بهم السن، ضعفوا وعجزوا عن العمل؟ وأنا أعطيناهم الفرصة الكافية من العمر للبحث والنظر والتفكير الصحيح، فإذا طالت أعمارهم بعدئذ أكثر من ذلك، فلن يفيدهم طول العمر شيئا. وفي هذا قطع لأعذارهم بأنه لم تتوافر لديهم الفرصة المواتية للبحث والنظر.

والآية كقوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ" [الروم ٥٤].

والمقصود بالآية الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دوام واستقرار، ولهذا قال تعالى في ختام الآية: "أَفَلَا يَعْقِلُونَ" أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم، ثم صيرورتهم إلى سن الشيبة، ثم إلى الشيخوخة، ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها، ولا انتقال عنها، وهي الدار الآخرة. وأن من فعل هذا بهم قادر على بعثهم مرة أخرى؟!

### أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

- ١- تقرير المعاد، وتأکید عداوة الشيطان للإنسان.
- ٢- يؤكد تعالى تحذيره من الشيطان فقد أغوى بوساوسه خلقا كثيرا، فليعتبروا وليعقلوا عداوته، وليعلموا أن الواجب طاعة الله تعالى.



- ٣- إن أعضاء الإنسان التي كانت أعوانا في حق نفسه، صارت عليه شهودا في حق ربّه، وعجز الإنسان يوم القيامة عن كتمان شيء من سيء أعماله وفاسدها. .
- ٤- لو شاء الله لأعمى الكفار عن الهدى، فلا يبصرون طريقا إلى منازلهم ولا غيرها، ولكنه لم يفعل رحمة بهم، وليتمكنوا من النظر الصحيح المؤدي إلى الإيمان بالله وحده.
- ٥- التحذير من عقوبة الله في الدنيا بالمسح ونحوه، وحينئذ لا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم، ولكنه تعالى لم يفعل، لرحمته الواسعة.
- ٦- مظاهر قدرة الله تعالى في رد الإنسان بعد القوة إلى حالة الضعف الأولى.
- ٧- طلب العبد إطالة عمره أكثر مما قدر الله تعالى لهم لا حاجة إليه، لأنه كلما طال العمر ازداد الإنسان ضعفا، والله عليم حكيم خبير.

### إثبات وجود الله ووحدانيته وبيان خواص الرسالة

{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥) فَلَا يَخْزِيكَ قَوْمُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)}

### معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
وما ينبغي له	وما يصلح له ولا يصح منه، ولا يسهل عليه لو طلبه.
أولم يروا	أولم يعلموا، والاستفهام للتقرير.
وذللناها لهم	سخرناها لهم وجعلناها لهم قاهرين لها يتصرفون فيها.
منافع ومشارب	المنافع كالصوف والوبر والشعر، والمشارب الألبان.
أفلا يشكرون	توبيخ على عدم شكرهم الله بالإيمان والطاعة.
وهم لهم جند محضرون	المشركون جند محضرون لتلك الآلهة ينصرونها من أن تمس بسوء فينصرونها بدل أن تنصروهم؟!

### التفسير والبيان:

بعد أن ذكر الله تعالى أصليين من أصول الدين الثلاثة، وهما الوحدانية في قوله: "وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ" والبعث أو الحشر في قوله: "هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" ذكر الأصل الثالث وهو الرسالة في الآيتين الأوليين: "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ". الآية. ثم إنه تعالى أعاد الكلام على الوحدانية وأقام الأدلة الدالة عليها في بقية هذه الآيات. يقول الحق تبارك وتعالى: "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ" أي: ليس النبي ﷺ شاعراً، وما يصح له الشعر، ولا يتأتى منه ولا يسهل عليه لو طلبه، فليس هو في طبعه، ولا يجبه، وقد جعله الله أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وإنما علمه الله قرآناً هو أسمى من الشعر.

فالشاعر يعتمد على الخيال والتصوير والعاطفة، وربما لا يتحرى الصدق والدقة في إرسال أوصاف المديح والهجاء والرثاء وغير ذلك، وربما بالغ في التصوير والوصف، همّه انتزاع الإعجاب من السامعين بقوله، لذا وصف الشعراء بقوله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ" [الشعراء ٢٢٥-٢٢٦].

أما القرآن الكريم فخبره صدق، وكلامه عظة واقعية، ومنهجه التشريع الذي يسعد البشر، وقصده الترغيب في فضائل الأعمال وغرر الخصال والأخلاق، والترهيب من الانحراف والرديلة، وتقرير أحكام العبادة الصحيحة والمعاملة الرشيدة.

فالآية دلت على نفي كون القرآن شعرا في قوله تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ، ونفي كون النبي ﷺ شاعرا في قوله تعالى: "وَمَا يَنْبُغِي لَهُ" وإنما علّمه الله القرآن الذي يمتاز بخاصية معينة تختلف عن الشعر المعروف وعن الشتر المؤلف.

وهي رد قاطع على قولهم: إن القرآن شعر أو سحر أو من عمل الكهان، وإن محمدا شاعر، قاصدين بذلك إبطال صفة الوحي به من عند الله، وتكذيب خاصية الرسالة.

وأما ما ورد على لسان الرسول ﷺ من أقوال موزونة، فهو مجرد سليقة اتفاقية من غير تكلف ولا صنعة ولا قصد.

وعدم تعليمه الشعر، لأن الله إنما علّمه القرآن العظيم الذي: "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" [فصلت ٤٢].

والقرآن ليس بشعر ولا تخيلات، ولا كهانة، ولا مفتعل، ولا سحر يؤثر، وإنما هو منهج للحياة الإسلامية، كما قال تعالى: "إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ" أي ما القرآن إلا ذكر من الأذكار، وموعظة من المواعظ، وكتاب واضح ظاهر جلي لمن تأمله وتدبره، يتلى في المعابد، ويسترشد في كل شؤون الحياة.

لذا قال تعالى محمّدا مهمة القرآن ومهمة رسول الله ﷺ: "لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ" أي: لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الأرض، كقوله تعالى: "لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ" [الأنعام ١٩]، ولكن إنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب، مستنير البصيرة، ولكي

تثبت به وتجب كلمة العذاب على الكافرين، الممتنعين من الإيمان به، لعدم تأثرهم بعظات القرآن، وانعدام يقظتهم لاتباع الحق والهدى.

ثم أعاد تعالى الكلام في الوحداية وأتى ببعض أدلتها، فقال: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ" أو لم يشاهد هؤلاء المشركون بالله عبدة الأصنام وغيرهم أن الله خلق لهم هذه الأنعام - الإبل والبقر والغنم - التي سخرها لهم، وأوجدها من أجلهم من غير وساطة ولا شريك، وجعلهم مالكين لها، يقهرونها ويضبطونها ويتصرفون بها كيف شاؤوا، وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، ولو شاء لجعلها مستعصية عليهم، مستوحشة نافرة منهم، فلا يستفيدون منها، فترى الولد الصغير يقود البعير الكبير، بل ولو كان القطار مائة بعير أو أكثر.

ثم أبان الله تعالى منافعها الملموسة، فقال: "وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ، فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ" وجعلناها لهم مسخرة مذلة منقادة لهم، لا تمتنع مما يريدون منها، حتى الذبح، فمنها مركوبهم الذي يركبونه في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، ومنها ما يأكلون من لحمها، "وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ" ولهم فيها منافع أخرى غير الركوب والأكل منها، كالاستفادة من أصوافها وأوبرها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين، وهي لهم مشارب أي يشربون من ألبانها، أفلا يشكرون خالق ذلك ومسخره وموجد هذه النعم لهم، بعبادته وطاعته، وترك الإشراك به غيره. وهذا حث صريح على شكر الخالق المنعم بعبادته وطاعته، وهو أبسط ما يوجب الوفاء، وتقدير المعروف والإحسان.

ولكن الكفار تنكروا لهذا الواجب، وكفروا بأنعم الله، واستمروا في ضلالهم وتركوا عبادة الله، وأقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع، وتوقعوا منه النصر، فقال تعالى: "وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ" أي: واتخذ هؤلاء المشركون الأصنام ونحوها آلهة يعبدونها من دون الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى.

ولكنها في الواقع لا تقدر على شيء، ولا تحقق فائدة لعبادها، لذا قال تعالى مينا خيبة أملهم: "لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ" أي: لا تقدر هذه الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأذل وأحقر، بل لا تقدر على نصره أنفسها، ولا على الانتقام ممن أساء إليها، لأنها جهاد لا تسمع ولا تعقل، لذا كان الثابت بطلان ما رجوه منها، وأملوه من نفعها.

والكفار المشركون جند طائعون للأصنام، يغضبون لها في الدنيا، وهي لا تستطيع نصرهم، ولا تقدم لهم خيرا، ولا تدفع عنهم شرا، إنها هي أصنام.  
وقوله: "مُحْضَرُونَ" أي يخدمونهم، ويدفعون عنهم، ويغضبون لهم، وليس للآلهة استطاعة على شيء، ولا قدرة على النصر. أو إنهم يوم القيامة محضرون لعذابهم، لأنهم يجعلونهم وقودا للنار.

ثم سأل الله رسوله عما يلقاه من أذى المشركين، فقال: "فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ" أي: فلا يهمنك تكذيبهم لك وكفرهم بالله، وأذاهم، وجفاؤهم، وقولهم: هؤلاء آلهتنا، وأنها شركاء لله في العبودية، أو قولهم لرسول الله ﷺ: أنت شاعر، أو ساحر، أو كاهن ونحو ذلك. فإننا نحن نعلم جميع ما هم فيه، نعلم سرهم وجهرهم، ونعلم ما يسرون لك من العداوة، وإننا مجازوهم بذلك، ومعاقبوهم عليه.

### أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

- ١- بيان خطأ الذين يقرأون القرآن على الأموات ويتركون الأحياء لا يقرأونه عليهم وعظما لهم وإرشادا وتعلينا وتذكيرا.
- ٢- إن إصابة النبي ﷺ الوزن أحيانا لا يوجب أنه يعلم الشعر، إذ ما ينبغي ولا يصح للنبي ﷺ أن يقول الشعر، وذلك من أعلام النبوة.
- ٣- إن الذي يتلوه النبي ﷺ على الناس هو ذكر من الأذكار، وعظة من المواعظ، وقرآن بين واضح مشتمل على الآداب والأخلاق، والحكم والأحكام، والتشريع المحقق لسعادة البشر.
- ٤- إن الغرض من إنزال القرآن إنذار من كان حي القلب، مستنير البصيرة، وإيجاب الحجة بالقرآن على الكفرة.
- ٥- بالرغم من وجود الآيات الدالة على قدرة الله، اتخذ الكفار المشركون من دون الله آلهة، لا قدرة لها على فعل، طمعا في نصرتها وأملا في مساعدتها لهم إن نزل بهم عذاب.
- ٦- إن الله تعالى عليم مطلع على ما يسر الكافرون ويظهرون من القول والعمل، فيجازيهم بذلك يوم القيامة.

## إثبات البعث

{أَوْلَمَ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)}.

## معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
أولم ير الإنسان	الهمزة للإنكار مع إفادة التعجب، ألم يتفكر الإنسان ويعلم.
من نطفة	قطرة من مني إلى أن صيرناه رجلا قويا.
خصيم مبين	شديد الخصومة لربه مظهرها مبين لها.
رميم	متفتتة بالية - تراب.
إذا أراد شيئا	خلق شيء وإيجاده.
فسبحان	تنزه عن الشريك والمثيل والولد وكل ما لا يليق به.
ملكوت	ملك - مقاليد - مفاتيح، وزيدت التاء للمبالغة في كبر الملك واتساعه.

## التفسير والبيان:

هذه الآيات الكريبات، فيها ذكر شبهة منكري البعث<sup>(١)</sup>، والجواب عنها بآتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: "أَوْلَمَ يَرِ الْإِنْسَانَ" المنكر للبعث والشاك فيه، أمرا يفيد اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه "مِنْ نُطْفَةٍ" ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، "فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ" بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر

(١) أورد الطبري في تفسيره (٥٥٤/٢٠) حديثا أن هذه الآيات نزلت في العاص بن وائل السهمي، والحديث ضعيف مختلف في وصله وإرساله. راجع تفسير سورة يس للشيخ مصطفى العدوي (١٣١).

التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى.

"وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا" لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق. فسر هذا المثل بقوله: "قَالَ" ذلك الإنسان "مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ" أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت.

هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً، لم يضرب هذا المثل.

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بعدة أدلة شافية كافية:

الدليل الأول: "قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ" وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علماً يقيناً لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور.

الدليل الثاني: "وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

الدليل الثالث: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ" فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فأخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

الدليل الرابع: "أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" على سعتها وعظمتها "بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ" أي: أن يعيدهم بأعيانهم. "بَلَى" قادر على ذلك، فإن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وبلى كلمة جواب كنعم، تأتي بعد كلام منفي، وكان الجواب من الله للدلالة على أنه لا جواب سواه.

الدليل الخامس: "وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ" فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه، فإعادته للأموات، فرد من أفراد آثار خلقه، ولهذا قال: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا" نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. "أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" أي: في الحال من غير تمنع.

الدليل السادس: "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ" فإنه تعالى هو الملك الهالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية. فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: "وَالَّذِي تُرْجَعُونَ" من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.

والخلاصة: أن خلق الأشياء العظيمة برهان قاطع على خلق ما دونها، كما قال تعالى: "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ" [غافر ٥٧]، وقال سبحانه: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْجَبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمُتَوْتِي بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". [الأحقاف ٣٣].

### أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بإيراد البراهين القاطعة.
- ٢- مشروعية استعمال العقلية في الحجج والمجادلة.
- ٣- تنزيه الله تعالى عن العجز والنقص وعن الشريك والولد وسائر النقائص.
- ٤- تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه وتحت قهره كل الملكوت فلذا لا يصح طلب شيء من غيره إذ هو الهالك الحق وغيره لا ملك له.

تم تفسير سورة يس

فله تعالى الحمد كما ينبغي لجلاله

وله الشناء كما يليق بكماله، وله المجد كما تستدعيه عظمته وكبرياؤه

وصلى الله على محمد ﷺ وآله وسلم



## ثالثاً: الأحاديث

كِتَابُ فِي الإِسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالْحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ

١- بَاب: مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَوْ إِتْلَافَهَا

١١٠٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، عَنْ النَّبِيِّ - قَالَ: "مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ". [رواه البخاري: ٢٣٨٧].

٢- بَاب: أَدَاءِ الدَّيْنِ

١١٠١- عَنْ أَبِي دَرٍّ - قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ -، فَلَمَّا أَبْصَرَ - يَعْنِي أَحَدًا - قَالَ: "مَا أُحِبُّ أَنَّهُ تَحَوَّلَ لِي ذَهَبًا، يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلَاثِ، إِلَّا دِينَارًا أُرْصِدُهُ<sup>(١)</sup> لِدَيْنٍ" ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقْلُونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ" وَقَالَ: "مَكَانَكَ" وَتَقَدَّمَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَسَمِعْتُ صَوْتًا، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ: "مَكَانَكَ حَتَّى آتِيَكَ" فَلَمَّا جَاءَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الَّذِي سَمِعْتُ؟ - أَوْ قَالَ: الصَّوْتُ الَّذِي سَمِعْتُ؟ - قَالَ: "وَهَلْ سَمِعْتَ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "أَتَانِي جِرْبِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ". [رواه البخاري: ٢٣٨٨].

٣- بَاب: حُسْنِ الْقَضَاءِ

١١٠٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ - وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ضَحَى، فَقَالَ: "صَلِّ رَكَعَتَيْنِ" وَكَانَ لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَقَضَانِي وَزَادَنِي [البخاري: ٢٣٩٤].

٤- بَاب: الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ تَرَكَ دِينًا

١١٠٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -: أَنَّ النَّبِيَّ - قَالَ: "مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى<sup>(٢)</sup> بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي، فَأَنَا مَوْلَاهُ". [رواه البخاري: ٢٣٩٩].

(١) أي: أرقبه.

(٢) أي: أحق.

باب: إِذَا وَجَدَ مَالَهُ عِنْدَ مُفْلِسٍ فِي السَّبْعِ وَالْقَرْضِ وَالْوَدِيعَةِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ  
(٥٤) [عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - : "مَنْ أَدْرَكَ مَالَهُ بَعِيْنِهِ عِنْدَ رَجُلٍ أَوْ إِنْسَانٍ قَدْ  
أَفْلَسَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ"] . [رواه البخاري: ٢٤٠٢].

#### ٥- بَاب: مَا يُنْهَى عَنِ إِضَاعَةِ الْمَالِ

١١٠٤- عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - : "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ<sup>(١)</sup> الْأَمْهَاتِ،  
وَوَادَّ الْبَنَاتِ،<sup>(٢)</sup> وَمَنْعَ وَهَاتٍ. وَكَرِهَ لَكُمْ: قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ<sup>(٣)</sup>". [رواه  
البخاري: ٢٤٠٨].

#### كِتَابُ الْخُصُومَاتِ

#### ١- بَاب: مَا يُذَكَّرُ فِي الْأَشْخَاصِ وَالْخُصُومَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِ

١١٠٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ - خِلَافَهَا،  
فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَاتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ -، فَقَالَ: "كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ لَا تَحْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ  
اِحْتَلَفُوا فَهَلَكُوا". [رواه البخاري: ٢٤١٠].

١١٠٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ،<sup>(٤)</sup> قَالَ  
الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ،  
فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ -، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ  
أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ - الْمُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - : "لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى  
مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى  
بَاطِشٌ<sup>(٥)</sup> جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيْمَنْ صَعَقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَشَنَى اللَّهَ". [رواه

(١) العقوق: العصيان، وأصله من العق وهو الشق وزنه ومعناه، والعق أيضاً القطع.

(٢) أي: قتلهن، وأصله دفنهن أحياء.

(٣) هو انفاقه في الحرام، وقيل: ترك القيام عليه، وقيل: المال هنا الحيوان.

(٤) [وقع في رواية سبب ذلك وأوله: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزُضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ. (البخاري: ٣٤١٤)].

(٥) أي: متعلق به، والباطش الأخذ القوي الشديد.

[البخاري: ٢٤١١].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ -: "لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ". [البخاري: ٢٤١٢].

١١٠٧- عَنْ أَنَسٍ -: أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ <sup>(١)</sup> رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجْرَيْنِ، قِيلَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ، أَفْلَانُ، أَفْلَانُ؟ حَتَّى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَأُخِذَ الْيَهُودِيُّ فَأَعْتَرَفَ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ - فَرَضَ رَأْسَهُ بَيْنَ حَجْرَيْنِ. [رواه البخاري: ٢٤١٣].

## ٢- بَاب: كَلَامِ الْخُصُومِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ

١١٠٨- حَدِيثُ الْأَشْعَثِ تَقَدَّمَ قَرِيبًا وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ اخْتَصَمَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتِ، وَفِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ قَالَ: إِنَّهُ هُوَ وَيَهُودِيٌّ. [رواه البخاري: ٢٤١٦، ٢٤١٧].

## كِتَابُ اللَّقْطَةِ

### ١- بَاب: إِذَا أَخْبَرَهُ رَبُّ اللَّقْطَةِ بِالْعَلَامَةِ دَفَعَ إِلَيْهِ

١١٠٩- عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - قَالَ: وَجَدْتُ صُرَّةً <sup>(٢)</sup> فِيهَا مِائَةٌ دِينَارٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - فَقَالَ: "عَرَفْتَهَا حَوْلًا" <sup>(٣)</sup> فَعَرَفْتُهَا حَوْلًا، فَلَمْ أَحِدْ مَنْ يَعْرِفُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقَالَ: "عَرَفْتَهَا حَوْلًا" فَعَرَفْتُهَا فَلَمْ أَحِدْ مَنْ يَعْرِفُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ ثَلَاثًا فَقَالَ: "احْفَظْ وَعَاءَهَا، وَعَدَدَهَا، وَوِكَاءَهَا، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا، وَإِلَّا فَاسْتَمْتِعْ بِهَا". [رواه البخاري: ٢٤٢٦].

### ٢- بَاب: إِذَا وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ

١١١٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، عَنْ النَّبِيِّ - قَالَ: "إِنِّي لَأَنْتَقِلُبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَحْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأَلْقِيهَا". [رواه البخاري: ٢٤٣٢].

### بَاب: لَا تُحْتَلَبُ مَاشِيَةٌ أَحَدٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ

(٥٦) [عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: "لَا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةَ

(١) أي: دق.

(٢) أي: خرقة مربوطة.

(٣) أي: سنة.

أَمْرِي بِغَيْرِ إِذْنِهِ، أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُؤْتِيَ مَشْرَبْتَهُ فَتُكْسِرَ خِزَانَتَهُ فَيَنْتَقِلَ طَعَامَهُ، فَإِنَّمَا تَخْزَنُ لَهُمْ ضُرُوعُ مَوَاشِيهِمْ أَطْعِمَاتِهِمْ، فَلَا يَجْلِبْنَ أَحَدٌ مَأْشِيَةَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ". [رواه البخاري: ٢٤٣٥].

### كِتَابُ الْمُظَالِمِ فِي الْمُظَالِمِ وَالْغَضَبِ

#### ١- بَاب: قِصَاصِ الْمُظَالِمِ

١١١١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - قَالَ: "إِذَا حَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُسِبُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُوا وَهَدُّبُوا، <sup>(١)</sup> أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدْلُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا". [رواه البخاري: ٢٤٤٠].

#### ٢- بَاب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]

١١١٢- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ <sup>(٢)</sup> وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا فَرَّهُ بِدُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾" [هود: ١٨]. [رواه البخاري: ٢٤٤١].

#### ٣- بَاب: لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمَ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ

١١١٣- وَعَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". [رواه البخاري: ٢٤٤٢].

#### ٤- بَاب: أَعِنِ أَحَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

١١١٤- عَنْ أَنَسٍ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "انصُرْ أَحَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا" قَالُوا: يَا رَسُولَ

(١) أي: أخلصوا وصفوا.

(٢) أي: يستره فلا يفضحه.

اللَّهُ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ". [رواه البخاري: ٢٤٤٤].

### ٥- بَاب: الظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١١١٥- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ - قَالَ: "الظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". [رواه

البخاري: ٢٤٤٧].

### ٦- بَاب: مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ، هَلْ يُبَيِّنُ مَظْلَمَتَهُ؟

١١١٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ". [البخاري: ٢٤٤٩].

### ٧- بَاب: إِنْ مَنُ ظَلَمَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ

١١١٧- عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - يَقُولُ: "مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا

طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ". [رواه البخاري: ٢٤٥٢].

١١١٨- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -: "مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بَغَيْرِ

حَقِّهِ، حُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ". [رواه البخاري: ٢٤٥٤].

### ٨- بَاب: إِذَا أَذِنَ إِنْسَانٌ لِأَخْرَ شَيْئًا جَارًا

١١١٩- وَعَنْهُ - أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ يَأْكُلُونَ تَمْرًا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - نَهَى عَنِ الْإِقْرَانِ إِلَّا أَنْ

يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَحَاهُ. [رواه البخاري: ٢٤٥٥].

### ٩- بَاب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

١١٢٠- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ - قَالَ: "إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ

الْخِصْمُ"<sup>(١)</sup>. [رواه البخاري: ٢٤٥٧].

(١) هو الدائم الخصومة، والاسم اللدد مأخوذ من لذيدي الوادي وهما جانباها. والخصم -بفتح أوله وكسر ثانيه-: الخصام، والخصم -بفتح ثم سكون- يطلق على الواحد والجمع مؤنثًا ومذكرًا.

## ١٠- بَاب: إِثْمٌ مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ

١١٢١- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ -، أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةَ بِيَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخِصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا". [رواه البخاري: ٢٤٥٨].

## ١١- بَاب: قِصَاصِ الْمَظْلُومِ إِذَا وَجَدَ مَالَ ظَالِمِهِ

١١٢٢- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا لِلنَّبِيِّ -: إِنَّكَ تَبْعُنَا، فَتَنْزِلُ بِقَوْمٍ لَا يَتَّقُونَا، فَمَا تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ لَنَا: "إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ، فَأَمْرٌ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَأَقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ". [رواه البخاري: ٢٤٦١].

## ١٢- بَاب: لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ حَسْبَهُ فِي جِدَارِهِ

١١٢٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: "لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ حَسْبَهُ فِي جِدَارِهِ" ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا لِي أَرَأَيْكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟! وَاللَّهِ لَا رَمِينَ بَهَا بَيْنَ أَكْتَفَيْكُمْ. [رواه البخاري: ٢٤٦٣].

١٣- بَاب: أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالْجُلُوسِ فِيهَا وَالْجُلُوسِ عَلَى الصُّعْدَاتِ <sup>(١)</sup>

١١٢٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -، عَنْ النَّبِيِّ - قَالَ: "يَأْكُمُ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ" فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: "فَإِذَا أَبِيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا" قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصْرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ". [رواه البخاري: ٢٤٦٥].

## ١٤- بَاب: إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الطَّرِيقِ الْمِيْتَاءِ

١١٢٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: قَضَى النَّبِيُّ - إِذَا تَسَاجَرُوا فِي الطَّرِيقِ الْمِيْتَاءِ <sup>(١)</sup> بِسَبْعَةِ أَذْرَعٍ.

(١) هي الطرق مأخوذة من الصعيد.

[رواه البخاري: ٢٤٧٣].

١٥- باب: النَّهْيُ بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ

١١٢٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ - قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ - عَنِ النَّهْيِ (٢) وَالْمُثَلَّةِ. [رواه

البخاري: ٢٤٧٤].

١٦- باب: مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ

١١٢٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - يَقُولُ: "مَنْ قَاتَلَ دُونَ

مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ". [رواه البخاري: ٢٤٨٠].

١٧- باب: إِذَا كَسَرَ قِصْعَةً أَوْ شَيْئًا لِغَيْرِهِ

١١٢٨- عَنْ أَنَسٍ -: أَنَّ النَّبِيَّ - كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ

خَادِمٍ بِقِصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضْرَبَتْ بِيَدِهَا فَكَسَرَتْ الْقِصْعَةَ، فَضَمَّهَا وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، وَقَالَ:

"كُلُوا" وَحَبَسَ الرَّسُولُ وَالْقِصْعَةَ حَتَّى فَرَّغُوا، فَدَفَعَ الْقِصْعَةَ الصَّحِيحَةَ وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ. [رواه

البخاري: ٢٤٨١].

كِتَابُ الشَّرِكَةِ

١- باب: الشَّرِكَةُ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ (٣) وَالْعُرُوضِ

١١٢٩- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - قَالَ: حَفَّتْ أَرْوَادُ الْقَوْمِ وَأَمْلَقُوا، (٤) فَاتَّوَأ النَّبِيُّ - فِي نَحْرِ

إِبِلِهِمْ فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: مَا بَقَاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ؟ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ - فَقَالَ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إِبِلِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "نَادِ فِي النَّاسِ يَأْتُونَ بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ"

(١) [قوله: "الميتاء" زادها المستملي في روايته ولم يتابع عليه وليست بمحفوظة في حديث أبي هريرة، وإنما وردت في بعض طرق الحديث وذلك فيما أخرجه عبد الرزاق عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبري من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وابن عدي من حديث أنس رضي الله عنه، وفي كل من الأسانيد الثلاثة مقال. وانظر الفتوح: ١١٩/٥].

(٢) (أي: أخذ مال المسلم قهراً جهراً).

(٣) هو طعام الصلح بين القبائل، وكذا المسافرون إذا جمعوا أروادهم.

(٤) أملق: أي افتقر ونغد زاده.

فَبُسِطَ لِدَلِكِ نَطْعٌ وَجَعَلُوهُ عَلَى النَّطْعِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - فِدَعَا وَبَرَكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَّتِهِمْ، فَاحْتَشَى النَّاسُ حَتَّى فَرَعُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ". [رواه البخاري: ٢٤٨٤].

(٥٧) [عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نَصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ - الْعَصْرَ فَنَنْحَرُ جُزُورًا، فَتُقَسَّمُ عَشْرُ قِسْمٍ، فَنَأْكُلُ لَحْمًا نَضِيجًا قَبْلَ أَنْ تَعْرَبَ الشَّمْسُ] . [رواه البخاري: ٢٤٨٥].

١١٣٠ - عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -: "إِنَّ الْأَشْعَرِيَّينَ إِذَا أَرْمَلُوا<sup>(١)</sup> فِي الْعَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ". [رواه البخاري: ٢٤٨٦].

## ٢- باب: قِسْمَةُ الْغَنَمِ

١١٣١ - عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ - قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - بِبَدْيِ الْخُلَيْفَةِ، فَأَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ، فَأَصَابُوا إِبِلًا وَغَنَمًا، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ - فِي أُخْرِيَاتِ الْقَوْمِ، فَعَجَلُوا وَذَبَحُوا وَنَصَبُوا الْقُدُورَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ - بِالْقُدُورِ فَكُفِّنَتْ،<sup>(٢)</sup> ثُمَّ قَسَمَ، فَعَدَلَ عَشْرَةَ مِنَ الْغَنَمِ بِبَعِيرٍ، فَنَدَّ مِنْهَا بِبَعِيرٍ،<sup>(٣)</sup> فَطَلَبُوهُ فَأَعْيَاهُمْ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ حَيْلٌ يَسِيرَةٌ، فَأَهْوَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ فَحَبَسَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الْبَهَائِمِ أَوَايِدٌ"<sup>(٤)</sup> كَأَوَايِدِ الْوَحْشِ، فَمَا غَلَبَكُمْ مِنْهَا فَاصْنَعُوا بِهِ هَكَذَا" فَقُلْتُ: إِنَّا نَرَجُو الْعُدُوَّ عَدًّا وَكَيْسَتْ مَعَنَا مُدَى،<sup>(٥)</sup> أَفَنَذِيحٌ بِالْقَصَبِ؟ قَالَ: "مَا أَنْهَرَ الدَّمَ،"<sup>(٦)</sup> وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكَلُوهُ، لَيْسَ السِّنُّ وَالظُّفْرُ، وَسَأَحَدْتُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الْحَبَشَةِ". [رواه البخاري: ٢٤٨٨].

(١) أي: نفذ زادهم.

(٢) الإكفاء الإفراغ.

(٣) أي: شرد ونفر.

(٤) هو جمع أبدة وزن فاعلة، يقال: أبدت تأبذ إذا توحشت، ويقال: جاء فلان بأبدة إذا جاد بأمر مشكل.

(٥) جمع مدية هي السكين.

(٦) أي: ما أساله وصبه بكثرة.



٣- بَاب: تَقْوِيمُ الْأَشْيَاءِ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ بِقِيَمَةِ عَدْلِ

١١٣٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، عَنْ النَّبِيِّ - قَالَ: "مَنْ أَعْتَقَ شَقِيصًا مِنْ مَمْلُوكِهِ فَعَلِيهِ خَلَاصُهُ فِي مَالِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ، قَوْمَ الْمَمْلُوكِ قِيَمَةَ عَدْلِ، ثُمَّ اسْتُسْعِيَ<sup>(١)</sup> غَيْرَ مَشْقُوقٍ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>". [رواه البخاري: ٢٤٩٢].

٤- بَاب: هَلْ يُقْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ؟ وَالِاسْتِهَامُ فِيهِ

١١٣٣- عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ - قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا". [رواه البخاري: ٢٤٩٣].

٥- بَاب: الشَّرِكَةُ فِي الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ

١١٣٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ - وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ -، وَذَهَبَتْ بِهِ أُمُّهُ زَيْنَبُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْهُ، فَقَالَ: "هُوَ صَغِيرٌ" فَمَسَحَ رَأْسَهُ وَدَعَا لَهُ. وَكَانَ يُجْرُجُ إِلَى السُّوقِ فَيَشْتَرِي الطَّعَامَ، فَيَلْقَاهُ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما، فَيَقُولَانِ لَهُ: أَشْرِكْنَا، فَإِنَّ النَّبِيَّ - قَدْ دَعَا لَكَ بِالْبَرْكَةِ، فَيَشْرِكُهُمْ، فَرُبَّمَا أَصَابَ الرَّاحِلَةَ كَمَا هِيَ، فَيَبِيعُ بِهَا إِلَى الْمُنْزِلِ. [رواه البخاري: ٢٥٠١، ٢٥٠٢].

كِتَابُ الرَّهْنِ فِي الْحَضَرِ

١- بَاب: الرَّهْنُ مَرْكُوبٌ وَمَحْلُوبٌ

١١٣٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "الظَّهْرُ يُرَكَّبُ بِنَفَقَتِهِ إِذَا كَانَ مَرْهُونًا، وَكَبِنُ الدَّرِّ يُشْرَبُ بِنَفَقَتِهِ إِذَا كَانَ مَرْهُونًا، وَعَلَى الَّذِي يَرَكَّبُ وَيَشْرَبُ النَّفَقَةَ". [البخاري: ٢٥١٢].

(١) أي: اتبع فيما بقي عليه فطلبه بالسعي في فكاك رقبته.

(٢) أي: غير مجهود.

٢- بَاب: إِذَا اخْتَلَفَ الرَّاهِنُ وَالْمُرْتَهِنُ وَنَحْوُهُ، فَالْبَيْتَةُ عَلَى الْمُدْعَى وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدْعَى عَلَيْهِ

١١٣٦- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ - قَضَى: أَنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدْعَى عَلَيْهِ. (١)

[رواه البخاري: ٢٥١٤].

### كِتَابُ الْعِتْقِ

١- بَاب: فِي الْعِتْقِ وَفَضْلِهِ

١١٣٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -: "أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَتَقَدَّ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ". [رواه البخاري: ٢٥١٧].

(٥٨) [وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: "حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ"] [رواه البخاري: ٦٧١٥]. (٢)

٢- بَاب: أَيُّ الرَّقَابِ أَفْضَلُ؟

١١٣٨- عَنْ أَبِي ذَرٍّ - قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِيَابَانُ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ" قُلْتُ: فَأَيُّ الرَّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "أَعْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفُسَهَا" (٣) عِنْدَ أَهْلِهَا" قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: "تُعِينُ صَانِعًا، (٤) أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ" قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: "تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ". [رواه البخاري: ٢٥١٨].

٣- بَاب: إِذَا أَعْتَقَ عَبْدًا بَيْنَ اثْنَيْنِ، أَوْ أَمَةً بَيْنَ الشَّرَكَاءِ

١١٣٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: "مَنْ أَعْتَقَ شَرَكًا (٥) لَهُ فِي

(١) [هذا من الأحاديث المكررة في المختصر، وهو طرف من ح: ١٧١٩، وسيأتي في تفسير آل عمران/ باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلِيكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾.

(٢) [كتاب كفارات الأيمان/ باب: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ وَأَيُّ الرَّقَابِ أَرْزَى].

(٣) أي: أفضلها.

(٤) [كذا في جميع نسخ المختصر التي بحوزتي، وفي رواية: "ضائعًا" وهي لجميع الرواة في البخاري كما جزم عياض وغيره، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن الصواب بالمهملة والنون لمقابلته بالأخرق وهو الذي ليس بصانع ولا يحسن العمل. وضائعًا أي: عاجزًا، مأخوذ من الضياع، وانظر الفتح: ١٤٩/٥].

(٥) أي: شركة.

عَبْدٌ، فَكَانَ لَهُ مَالٌ يَبْلُغُ ثَمَنَ الْعَبْدِ، فَوَّمَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ قِيَمَةَ عَدْلٍ، فَأَعْطَى شُرَكَاءَهُ حِصَصَهُمْ،<sup>(١)</sup> وَعَتَقَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَإِلَّا فَقَدْ عَتَقَ مِنْهُ مَا عَتَقَ". [رواه البخاري: ٢٥٢٢].

٤- باب: الخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ فِي الْعَتَاقَةِ وَالطَّلَاقِ وَنَحْوِهِ، وَلَا عَتَاقَةَ إِلَّا لِرُجُوهِ اللَّهِ

١١٤٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ<sup>(٢)</sup> بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ". [رواه البخاري: ٢٥٢٨].

٥- باب: إِذَا قَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِهِ: هُوَ لِلَّهِ وَنَوَى الْعِتْقَ، وَالْإِشْهَادِ فِي الْعِتْقِ

١١٤١- وَعَنْهُ -: أَنَّهُ لَمَّا أَقْبَلَ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ، وَمَعَهُ غُلَامُهُ، ضَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، فَأَقْبَلَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ مَعَ النَّبِيِّ -، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا غُلَامُكَ قَدْ أَتَاكَ" فَقَالَ: أَمَا إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّهُ حُرٌّ، قَالَ: فَهَوَّ حِينَ يَقُولُ:

باب: بَيْعُ الْوَلَاءِ وَهَبِيَّتِهِ

(٥٩) [عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - عَنْ بَيْعِ الْوَلَاءِ، وَعَنْ هَبِيَّتِهِ].

[رواه البخاري: ٢٥٣٥].

٦- باب: عِتْقُ الْمُشْرِكِ

١١٤٢- عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ -: أَنَّهُ أَعْتَقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِائَةَ رَقَبَةٍ، وَحَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ،<sup>(٣)</sup> فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ، وَأَعْتَقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ، قَالَ: فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الزَّكَاةِ.<sup>(٤)</sup> [رواه البخاري: ٢٥٣٨].

٧- باب: مَنْ مَلَكَ مِنْ الْعَرَبِ رَقِيقًا، فَوَهَبَ وَبَاعَ وَجَامَعَ وَفَدَى وَسَبَى الدُّرِّيَّةَ

١١٤٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ - أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ

(١) جمع حصة وهو النصيب.

(٢) الوسوسة حديث النفس.

(٣) أي: أباحها فجعلها محموداً عليها.

(٤) [باب: من تصدق في الشرك ثم أسلم/ ح: ٧٢٥].

غَارُونَ، <sup>(١)</sup> وَأَنْعَامُهُمْ تُسَمَّى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُؤَيْرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. [رواه البخاري: ٢٥٤١].

١١٤٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَا زِلْتُ أَحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ، سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - يَقُولُ فِيهِمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَالِ" قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا" وَكَانَتْ سَبِيَّةً مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَ: "أَعْتَقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ". [رواه البخاري: ٢٥٤٣].

#### ٨- بَاب: كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ، وَقَوْلِهِ عَبْدِي أَوْ أُمَّتِي

١١٤٥ - وَعَنْهُ -، عَنْ النَّبِيِّ - قَالَ: "لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمُ رَبَّكَ، وَصَيَّرْتُ رَبَّكَ، اسْتَيْتِ رَبَّكَ، وَلْيُقِلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أُمَّتِي، وَلْيُقِلْ: فَتَايَ وَفَتَايَ وَغُلَامِي". [رواه البخاري: ٢٥٥٢].

#### ٩- بَاب: إِذَا آتَى أَحَدُكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ

١١٤٦ - وَعَنْهُ -، عَنْ النَّبِيِّ -: "إِذَا آتَى أَحَدُكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيَنَازِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ - أَوْ أَكْلَةً <sup>(٢)</sup> أَوْ أَكْلَتَيْنِ - فَإِنَّهُ وَلِيٌّ عِلَاجَهُ <sup>(٣)</sup>". [رواه البخاري: ٢٥٥٧].

#### ١٠- بَاب: إِذَا ضَرَبَ الْعَبْدَ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ

١١٤٧ - وَعَنْهُ -، عَنْ النَّبِيِّ - قَالَ: "إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ". [البخاري: ٢٥٥٩].

#### كتاب المكاتب

#### ١- بَاب: مَا يُجْوزُ مِنْ شُرُوطِ الْمُكَاتَبِ، وَمَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ

١١٤٨ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ بَرِيرَةَ جَاءَتْ تَسْتَعِينُهَا فِي كِتَابَتِهَا، <sup>(٤)</sup> وَلَمْ تَكُنْ قَضَتْ

(١) أي: غافلون.

(٢) بالضم: اللقمة.

(٣) أي: عمله.

(٤) أصله أن السيد يعتق عبدة على مال معلوم يؤديه إليه مقطوعاً فيكتب بذلك بينهما كتاب.

مِنْ كِتَابَتِهَا شَيْئًا، قَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: ارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ، فَإِنْ أَحْبَبُوا أَنْ أَقْضِيَ عَنْكَ كِتَابَتِكَ، وَيَكُونَ وَلَاؤُكَ لِي فَعَلْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ بِرَبِيرَةَ لِأَهْلِهَا فَأَبَوْا، وَقَالُوا: إِنْ شَاءَتْ أَنْ تَحْتَسِبَ عَلَيْكَ فَلْتَفْعَلْ، وَيَكُونَ وَلَاؤُكَ لَنَا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ -، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -: "ابْتَاعِي، فَأَعْتَقِي، فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ" قَالَ: ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - فَقَالَ: "مَا بَالُ أَنْاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنْ شَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ، شَرَطَ اللَّهُ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ". [رواه البخاري: ٢٥٦١].

### كِتَابُ الْهَبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّخْرِيسِ عَلَيْهَا

#### ١- باب: فضل الهبة

١١٤٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، عَنِ النَّبِيِّ - قَالَ: "يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِحَارَتِهَا، وَكَلَّوْ فَرَسِنَ<sup>(١)</sup> شَاةً". [رواه البخاري: ٢٥٦٦].

١١٥٠ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ، ثُمَّ الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ - نَارٌ. فَقُلْتُ: يَا خَالَتُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ - جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ - مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا. [البخاري: ٢٥٦٧].

#### ٢- باب: القليل من الهبة

١١٥١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، عَنِ النَّبِيِّ - قَالَ: "لَوْ دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ<sup>(٢)</sup> لَأَجَبْتُ، وَكَلَّوْ أُهْدِي إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ". [رواه البخاري: ٢٥٦٨].

(١) هو ما فوق الحافر، وهو كالقدم للإنسان.

(٢) قيل: المراد اسم مكان وهو كل أنف سائل من جبل أو حرة، وقيل: المراد العضو والجمع أكرع، وهو لذوات الظلف خاصة.

## ٣- باب: قَبُولِ هَدِيَّةِ الصَّيْدِ

١١٥٢- عَنْ أَنَسٍ - قَالَ: أَنْفَجْنَا أَرْبَابًا<sup>(١)</sup> بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، فَسَعَى الْقَوْمُ فَلَعَبُوا،<sup>(٢)</sup> فَأَدْرَكْتُهَا فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُ بِهَا أَبَا طَلْحَةَ فَذَبَحَهَا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - بِوَرِكَهَا أَوْ فَخْذَيْهَا، فَقَبِلَهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَكَلَ مِنْهُ.<sup>(٣)</sup> [رواه البخاري: ٢٥٧٢].

## ٤- باب: قَبُولِ الْمُهْدِيَّةِ

١١٥٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَهَدَتُ أُمَّ حُنَيْدٍ، خَالََةَ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ - أَقِطًا وَسَمْنًا وَأَضْبًا، فَأَكَلَ النَّبِيُّ - مِنْ الْأَقِطِ وَالسَّمْنِ، وَتَرَكَ الضَّبَّ تَقَدُّرًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأُكِلَ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ -، وَلَوْ كَانَ حَرَامًا مَا أَكَلَ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ - [البخاري: ٢٥٧٥].

١١٥٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - إِذَا أَتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: "أَهْدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟" فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: "كُلُوا" وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ، ضَرَبَ بِيَدِهِ - فَأَكَلَ<sup>(٤)</sup> مَعَهُمْ. [رواه البخاري: ٢٥٧٦].

١١٥٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ - بِلَحْمٍ، فَقِيلَ: تُصَدِّقُ عَلَى بَرِيرَةَ، قَالَ: "هُوَ هَا صَدَقَةٌ، وَلَنَا هَدِيَّةٌ".<sup>(٥)</sup> [رواه البخاري: ٢٥٧٧].

## ٥- باب: مَنْ أَهْدَى إِلَى صَاحِبِهِ وَتَحَرَّى بَعْضَ نِسَائِهِ دُونَ بَعْضٍ

١١٥٦- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ - كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسُودَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمَّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ -، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ - عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً، يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -

(١) أي: أثناه، والأرب دويبة معروفة.

(٢) أي: لعبوا.

(٣) [هذا تنمة الحديث، وقد تصرف المصنف فيه، ففي الأصل: قُلْتُ: وَأَكَلَ مِنْهُ؟ قَالَ: وَأَكَلَ مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ بَعْدُ: قَبِلَهُ. وَقَالَ: (قلت) هو هشام بن زيد بن أنس راوي الحديث عن جده].

(٤) أي: وضعها في المأكول.

(٥) [هذا من الأحاديث المكررة في المختصر، وقد تقدم في الزكاة/ باب: إذا تحولت الصدقة/ ح: ٧٥٨].

أَخْرَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبُ الْهُدْيَةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حَزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ - يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - هَدِيَّتَهُ، فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بِيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلَتْهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ، قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلَتْهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ، فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: "لَا تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي تَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ" قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ -، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ <sup>(١)</sup> اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ: "يَا بَنِيَّةُ، أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟" قَالَتْ: بَلَى، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرْتُهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَآتَتْهُ فَأَغْلَطَتْ، <sup>(٢)</sup> وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَفَرَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتَهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ، قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنْتَهَا، قَالَتْ: فَظَنَرَ النَّبِيُّ - إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ: "إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ". [رواه البخاري: ٢٥٨١].

#### ٦- بَاب: مَا لَا يَرُدُّ مِنَ الْهُدْيَةِ

١١٥٧- عَنْ أَنَسٍ - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - لَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ. [رواه البخاري: ٢٥٨٢].

#### ٧- بَاب: الْمَكَافَاةُ فِي الْهَيْبَةِ

١١٥٨- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - يَقْبَلُ الْهُدْيَةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا. [رواه

البخاري: ٢٥٨٥].

#### ٨- بَاب: الْإِشْهَادُ فِي الْهَيْبَةِ

١١٥٩- عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ

<sup>(١)</sup> قيل: أصله سألت الله برفع صوتي، والمعني سألتك بالله أو ذكرتك به، والنشيد هو الصوت.

<sup>(٢)</sup> أي: شددت عليه في القول.

## مَجْرَمَاتُ الرِّجَالِ

رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ -، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ - فَقَالَ: إِنِّي أُعْطِيتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أُشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أُعْطِيتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ" قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ. [رواه البخاري: ٢٥٨٧].

(٦٠) [وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: قَالَ: "لَا تُشْهَدُنِي عَلَى جَوْرٍ"] . [رواه البخاري: ٢٦٥٠].<sup>(١)</sup>

### ٩- بَاب: هِبَةُ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ وَالْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا

١١٦٠- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -: "الْعَائِدُ فِي هَيْبَتِهِ كَالْكَلْبِ، يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْبِهِ". [رواه البخاري: ٢٥٨٩].

(٦١) [وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ فِي أَوَّلِهِ: "لَيْسَ لَنَا مِثْلُ السَّوَاءِ"] . [البخاري: ٢٦٢٢].<sup>(٢)</sup>

### ١٠- بَاب: هِبَةُ الْمَرْأَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا وَعِثْقُهَا

١١٦١- عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً، وَلَمْ تَسْتَأْذِنْ النَّبِيَّ -، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: "أَوْفَعَلْتِ؟" قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: "أَمَا إِنَّكَ لَوْ أُعْطِيتَهَا أَحْوَالَكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ". [رواه البخاري: ٢٥٩٢].

١١٦٢- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيُّهُنَّ حَرَجَ سَهْمُهَا حَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنْ سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -، تَبَتَّغِي بِذَلِكَ رِضًا رَسُولِ اللَّهِ -. [رواه البخاري: ٢٥٩٣].

### ١١- بَاب: كَيْفَ يُقْبَضُ الْعَبْدُ وَالْمُتَاعُ

١١٦٣- عَنْ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ - أَقْبِيَّةً، وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ مِنْهَا شَيْئًا، فَقَالَ مَخْرَمَةُ: يَا بُنَيَّ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَقَالَ: ادْخُلْ فَادْعُهُ لِي،

(١) [كِتَابُ الشَّهَادَاتِ/ بَاب: لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهَدَ].

(٢) [بَاب: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْجِعَ فِي هَيْبَتِهِ وَصَدَقْتِهِ].



قَالَ: فَدَعَوْتُهُ لَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ<sup>(١)</sup> مِنْهَا، فَقَالَ: "حَبَانَا هَذَا لَكَ" قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: "رَضِيَ حَرَمَةٌ". [رواه البخاري: ٢٥٩٩].

### ١٢- باب: هَدِيَّةٌ مَا يُكْرَهُ لُبْسُهَا

١١٦٤- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ - بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا، وَجَاءَ عَلِيٌّ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ - قَالَ: "إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا سِتْرًا مَوْشِيًّا"<sup>(٢)</sup> فَقَالَ: "مَالِي وَلِلدُّنْيَا" فَاتَّاهَا عَلِيٌّ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لِيَأْمُرَنِي فِيهِ بِمَا شَاءَ، قَالَ: "تُرْسِلُ بِهِ إِلَى فُلَانٍ، أَهْلُ بَيْتِ بِيْتِهِمْ حَاجَةٌ". [رواه البخاري: ٢٦١٣].

١١٦٥- عَنْ عَلِيٍّ - قَالَ: أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ - حُلَّةَ سِيرَاءٍ، فَلَبِسْتُهَا، فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَشَقَّقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي. [رواه البخاري: ٢٦١٤].

### ١٣- باب: قَبُولِ الْهَدِيَّةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(٦٢) [عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ - بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: "لَا". فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي هَوَاتٍ<sup>(٣)</sup> رَسُولِ اللَّهِ -]. [البخاري: ٢٦١٧].

١١٦٦- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - ثَلَاثِينَ وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟" فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوَهُ، فَعَجِنَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ، مُشْعَانٌ<sup>(٤)</sup> طَوِيلٌ، بَغْنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "بِئْسَ أُمَّ عَطِيَّةً؟" - أَوْ قَالَ: - "أُمَّ هَبَّةً" قَالَ: لَا، بَلْ بِيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً، فَصُنِعَتْ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ - بِسَوَادِ الْبَطْنِ<sup>(٥)</sup> أَنْ يُشْوَى، وَإِيمُ اللَّهِ، مَا فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ النَّبِيُّ - لَهُ حُزَّةٌ مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَإِنْ

(١) هو جنس من الثياب ضيق من لباس العجم معروف والجمع أقبية.

(٢) أي: مصبوغًا باللوشى، وهو من الحرير رفيع الصنعة.

(٣) جمع لهاة، وهي اللحمية التي بأعلى الحنجرة.

(٤) أي: منتفش الشعر، وقال في الأصل: مشعان أي طويل جدًا فوق الطويل.

(٥) قيل: الكبد، وقيل: حشوة البطن كلها.

كَانَ غَائِبًا حَبًّا لَهُ، فَجَعَلَ مِنْهَا فَصْعَتَيْنِ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا، فَفَضَلَتْ الْقُصْعَتَانِ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ، أَوْ كَمَا قَالَ. [رواه البخاري: ٢٦١٨].

#### ١٤- بَاب: الْهَدِيَّةُ لِلْمُشْرِكِينَ

١١٦٧- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -، قُلْتُ: إِنَّ أُمَّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمَّي؟ قَالَ: "نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ". [رواه البخاري: ٢٦٢٠].

#### ١٥- بَاب

١١٦٨- عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَرَ -: أَنَّهُ شَهِدَ عِنْدَ مِرْوَانَ لِبَنِي صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - أَعْطَى صُهَيْبًا بَيْتَيْنِ وَحِجْرَةً، فَقَضَى مِرْوَانَ بِشَهَادَتِهِ لَهُمْ. [رواه البخاري: ٢٦٢٤].

#### ١٦- بَاب: مَا قِيلَ فِي الْعُمَرَى وَالرُّفْيَى<sup>(١)</sup>

١١٦٩- عَنْ جَابِرٍ - قَالَ: قَضَى النَّبِيُّ - بِالْعُمَرَى،<sup>(٢)</sup> أَنَّهُ لَمُنٌ وَهَبَتْ لَهُ. [البخاري: ٢٦٢٥].

#### ١٧- بَاب: الْإِسْتِعَارَةُ لِلْعُرُوسِ عِنْدَ الْبِنَاءِ

١١٧٠- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا أَيْمَنٌ وَعَلَيْهَا دِرْعٌ قَطْرٌ<sup>(٣)</sup> - وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ قُطْنٍ - ثَمَنٌ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ، فَقَالَتْ: ارْفَعْ بَصْرَكَ إِلَى جَارِيَّتِي انظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّمَا تَزْهَى أَنْ تَلْبَسَهُ فِي الْبَيْتِ، وَقَدْ كَانَ لِي مِنْهُنَّ دِرْعٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -، فَمَا كَانَتْ امْرَأَةً تَقِينُ<sup>(٤)</sup> بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أَرْسَلْتُ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ. [رواه البخاري: ٢٦٢٨].

#### ١٨- بَاب: فَضْلُ الْمُنِيحَةِ

١١٧١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ، وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ - يَعْنِي

(١) هو أن يقول الرجل لآخر: قد وهبتك كذا، فإن مت قبلي رجعت إلي، وإن مت قبلك فهو لك، فكل واحد منهما يرقب صاحبه ومنه أن يكون ذلك من الجانبين معًا.

(٢) هي إسكان الرجل الآخر داره عمره، أو تملكه مناف أرضه عمره أو عمر المعطي.

(٣) هو ضرب من ثياب اليمن فيه حمرة.

(٤) أي: تمتشط وتزين وتجلي على زوجها.

شَيْئًا - وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالْعَقَارِ، <sup>(١)</sup> فَقَاسَمَهُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى أَنْ يُعْطَوْهُمْ ثَمَارَ أَمْوَالِهِمْ كُلِّ عَامٍ، وَيَكْفُوهُمْ الْعَمَلَ وَالْمُتَوَنَّةَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَنْسٍ أُمَّ سُلَيْمٍ، كَانَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، فَكَانَتْ أَعْطَتْ أُمَّ أَنْسٍ رَسُولَ اللَّهِ - عِدَاقًا، <sup>(٢)</sup> فَأَعْطَاهُنَّ النَّبِيُّ - أُمَّ أَيْمَنَ مَوْلَاتَهُ أُمَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ.

قَالَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ حَيْبَرَ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، رَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الْأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمُ الَّتِي كَانُوا مَنَحُوهُمْ مِنْ ثَمَارِهِمْ، فَردَّ النَّبِيُّ - إِلَى أُمِّهِ عِدَاقَهَا، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ - أُمَّ أَيْمَنَ مَكَانَهُنَّ مِنْ حَائِطِهِ. <sup>(٣)</sup> [رواه البخاري: ٢٦٣٠].

١١٧٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - : "أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، <sup>(٤)</sup> مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ". [رواه البخاري: ٢٦٣١].

### كِتَابُ الشَّهَادَاتِ

#### ١ - بَابُ: لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرِ إِذَا أُشْهِدَ

١١٧٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -، عَنْ النَّبِيِّ - قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، <sup>(٥)</sup> ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ". [البخاري: ٢٦٥٢].

<sup>(١)</sup> أي: الدور، ويطلق على أصل المال والمتاع.

<sup>(٢)</sup> جمع عذق بالفتح وهي النخلة، وأما بالكسر فالعرجون.

<sup>(٣)</sup> [وفي رواية عن أنسٍ ؓ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ - النَّخْلَاتِ حَتَّى افْتَتَحَ قَرْيَةَ وَالنَّضِيرَ، وَإِنَّ أَهْلِي أَمْرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ - فَأَسْأَلُهُ الَّذِينَ كَانُوا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ. وَكَانَ النَّبِيُّ - قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَجَاءَتْ أُمَّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتْ الثُّوبَ فِي عُنُقِي تَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا - أَوْ كَمَا قَالَتْ - وَالنَّبِيُّ - يَقُولُ: "لَكَ كَذَا". وَتَقُولُ: كَلَّا وَاللَّهِ. حَتَّى أَعْطَاهَا، حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: "عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ". أَوْ كَمَا قَالَ. (رواه البخاري: ٤١٢٠)].

<sup>(٤)</sup> أي: عطية لبن الشاة.

<sup>(٥)</sup> أي: أصحابي، واختلف السلف في تعيين مدة القرن فقيل: مائة سنة وهو الأشهر، وحكى الحربي الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين ثم قال: عندي أن القرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد.

(٦٣) [وَزَادَ فِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - "إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يُحُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَتُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْدُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَطْهَرُ فِيهِمُ السَّمْنُ"<sup>(١)</sup>].  
[رواه البخاري: ٢٦٥١].

### ٢- باب: مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ

١١٧٤- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -: "أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟" ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ" وَجَلَسَ - وَكَانَ مُتَكَيِّمًا - فَقَالَ: "أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ" قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. [رواه البخاري: ٢٦٥٤].

### ٣- باب: شَهَادَةُ الْأَعْمَى

وَأَمْرِهِ وَنِكَاحِهِ وَإِنْكَاحِهِ وَمُبَايَعَتِهِ وَقَبُولِهِ فِي التَّأْذِينَ وَغَيْرِهِ، وَمَا يُعْرَفُ بِالْأَصْوَاتِ  
١١٧٥- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيَّ - رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: "رَحِمَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةٍ كَذَا وَكَذَا".  
وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي رِوَايَةٍ قَالَتْ: تَهَجَّدُ<sup>(٢)</sup> النَّبِيُّ - فِي بَيْتِي، فَسَمِعَ صَوْتَ عَبَادٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ، أَصَوْتُ عَبَادٍ هَذَا؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَادًا".<sup>(٣)</sup> [رواه البخاري: ٢٦٥٥].

### ٤- باب: تَعْدِيلُ النِّسَاءِ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا

١١٧٦- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - إِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَرْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ، بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ<sup>(٤)</sup> وَأَنْزَلَ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ - مِنْ

(١) أي: كثرة اللحم، ووجه كونه عيبًا أنه يحصل من كثرة الأكل وليس من الصفات المحمودة.

(٢) أي: قام من الليل، والهجود من الأضداد يقال للقيام وللنوم.

(٣) [والرواية الثانية من المعلقات في صحيح البخاري، فهي ليست على شرط المصنف، وقد وصلها أبو يعلى، وانظر الفتح: ٢٦٥/٥، وتعليق التعليق: ٣٨٧/٣].

(٤) ما تركب فيه المرأة على الجمل، وهو كالمخفة عليه قبة.

عَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَل، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، أَدْنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فُقِمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي، أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ أَظْفَارٍ<sup>(١)</sup> قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ،<sup>(٢)</sup> فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَأَحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النَّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ، وَلَمْ يَعْشَهِنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ<sup>(٣)</sup> مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهُودَجِ فَأَحْتَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي<sup>(٤)</sup> الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ،<sup>(٥)</sup> حِينَ أَنَا حَ رَاحِلَتُهُ، فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا، فَأَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرَّسِينَ<sup>(٦)</sup> فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ،<sup>(٧)</sup> فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ<sup>(٨)</sup> عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاسْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، وَيَرِيئِي<sup>(٩)</sup> فِي وَجْعِي: أَنِّي لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ - اللَّطْفَ الَّذِي

(١) حرز معروف.

(٢) أي: طلبه.

(٣) الشيء اليسير الذي فيه بلغة.

(٤) أي: فيممت، وهذه الباء مسهلة من الهمزة.

(٥) أي: بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٦) التعريس: نزول آخر الليل للنوم والراحة، ويستعمل في كل وقت.

(٧) هو مبلغ الشمس منتاها من الارتفاع.

(٨) أصل الإفك الكذب.

(٩) أي: يشككني، من الريب.

كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرُصُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيَسْلَمُ، ثُمَّ يَقُولُ: "كَيْفَ تَيْكُمُ؟" <sup>(١)</sup> لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى تَفْهَتْ، <sup>(٢)</sup> فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ، مُتَبَرِّزْنَا، لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى كَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ <sup>(٣)</sup> قَرِيبًا مِنْ بِيوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِّيَّةِ، <sup>(٤)</sup> أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهِمٍ نَمَشِي، فَعَثَرْتُ فِي مِرْطَهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَ <sup>(٥)</sup> مِسْطَحُ، فَقُلْتُ هَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ، أَنْسَبِينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: يَا هَتَّاهُ أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - فَسَلَّمَ، فَقَالَ: "كَيْفَ تَيْكُمُ؟" فَقُلْتُ: ائذَنْ لِي إِلَى أَبِي بَوَيْ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينْتِذُ أُرِيدُ أَنْ أُسْتَيِّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِنَّ، فَأَذِنْ لِي رَسُولُ اللَّهِ - فَأَتَيْتُ أَبِي بَوَيْ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ، هُوَ يَ عَلَى نَفْسِكَ الشَّانَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَهِيَ ضَرَائِرُ، <sup>(٦)</sup> إِلَّا أَكْثَرَنَ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ هَذَا؟ قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ، لَا يَرِقًا لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَجِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حِينَ اسْتَلَبْتَ الْوَحْيَ، <sup>(٧)</sup> يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُصَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِّ الْجَارِيَةَ تَصَدُّقَكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - بَرِيرَةَ، فَقَالَ: "يَا بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتَ فِيهَا شَيْئًا يَرِيئُكَ؟" فَقَالَتْ بَرِيرَةُ:

(١) هي من أسماء الإشارة للمؤنث.

(٢) أي: أفقت من مرضي.

(٣) الكنيف - بفتح أوله - هو الخلاء.

(٤) أي الغلاة.

(٥) أي: عثر فسقط على وجهه، وقيل: معناه بعد، وقيل: هلك أو لزمه الشر.

(٦) جمع ضرة - بالكسر والفتح - وهن الزوجات لرجل واحد، وسميت الضرة لمضاررتها الأخرى غالبًا.

(٧) أي: أبطأ نزوله، كذا في المشارق، وقال في النهاية: هو استفعل من اللبث وهو الإبطاء والتأخير، ولم يتعرضا لمعنى السين هنا، وقال شيخنا في القاموس: استلبه استبطأه، وهذا على القياس ولكن مقتضاه أن يقرأ الوحي بالنصب، وقد قيل إنه ضبط في بعض نسخ البخاري كذلك، فيحتمل أن معنى الرواية المشهورة تأخر عامدًا مثل استأخر.

لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَعْمِصُهُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهَا فَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أُمَّهَا جَارِيَةً حَدِيثُهُ السَّنِّ، تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعَذَرَ<sup>(٢)</sup> مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - : " مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَدَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي " فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ: إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ مُجَادِلٌ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. فَتَارَ الْحَيَّانِ: الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هُمَا وَرَسُولُ اللَّهِ - عَلَى الْمُنْبَرِ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ،<sup>(٣)</sup> حَتَّى سَكَنُوا وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ. فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبُو آيٍ، وَقَدْ بَكَيتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي،<sup>(٤)</sup> قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذْ اسْتَأْذَنْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنَتْ لَهَا، فَجَلَسْتُ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ قَبْلَ فِيَّ مَا قَبِلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشْهَدُ، ثُمَّ قَالَ: " يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلْمَمْتَ بِذَنْبٍ<sup>(٥)</sup> فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ " فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ - مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي<sup>(٦)</sup> حَتَّى مَا أَحْسَسُ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ -، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ -، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي

(١) أي: أعييه.

(٢) أي: طلب المعذرة، أي قال: من يعذرنِي، أي: يقوم بعذري.

(٣) أي: سكتهم.

(٤) أي: يشقها.

(٥) الملم بالشيء هو الذي يأتيه غير معتاد له، وهو بخلاف المصر.

(٦) أي: انقبض وارتفع.

## مَجْمَعُ تَصِفُونَ

رَسُولَ اللَّهِ - فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ -، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَّ<sup>(١)</sup> فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ - وَاللَّهِ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ - لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ - وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَتُصَدِّقُونِي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلكُمْ مِثْلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّتَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحَيًّا يُتَلَّى، وَلَا نَا أَحَقَّرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ - فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّتَنِي اللَّهُ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ،<sup>(٢)</sup> حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمِ شَاتٍ،<sup>(٤)</sup> فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: "يَا عَائِشَةُ، أَحْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّكَ اللَّهُ" فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١] الْآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ -: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا - إِلَى قَوْلِهِ - غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ،<sup>(٥)</sup> وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: "يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتَ؟ مَا رَأَيْتِ؟" فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) (وقر: أي ثبت وزنًا ومعنى).

(٢) هو شدة الكرب، ويقال لشدة الحمى أيضًا.

(٣) هو شذور تصنع من الفضة أمثال اللؤلؤ.

(٤) أي: في زمن الشتاء.

(٥) أي: الرزق.



أَخِي<sup>(١)</sup> سَمِعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي،<sup>(٢)</sup> فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ. [رواه البخاري: ٢٦٦١].

#### ٥- باب: إِذَا زَكَّى رَجُلٌ رَجُلًا كَفَّاهُ

١١٧٧- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ -، فَقَالَ: "وَيْلَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ" مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيُقِلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللَّهِ حَسِيبُهُ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ". [رواه البخاري: ٢٦٦٢].

#### ٦- باب: بُلُوغُ الصَّبِيَّانِ وَشَهَادَتِهِمَ

١١٧٨- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجْزِنِي. ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الْخُنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ، سَنَةً فَأَجَازَنِي.<sup>(٣)</sup> [رواه البخاري: ٢٦٦٤].

#### ٧- باب: إِذَا تَسَارَعَ قَوْمٌ فِي الْيَمِينِ

١١٧٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -: أَنَّ النَّبِيَّ - عَرَضَ عَلَى قَوْمِ الْيَمِينِ، فَأَسْرَعُوا، فَأَمَرَ أَنْ يُسَهَمَ بَيْنَهُمْ فِي الْيَمِينِ، أَيُّهُمْ يَخْلِفُ. [رواه البخاري: ٢٦٧٤].

#### ٨- باب: كَيْفَ يُسْتَحْلَفُ؟

١١٨٠- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ - قَالَ: "مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ". [رواه البخاري: ٢٦٧٩].

(١) مأخوذ من الحمى وأصله المنع.

(٢) أي: تظاهبي، وأصله من السمو وهو الارتفاع.

(٣) [وتمامه من الأصل: "قال نافع: فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته الحديث فقال: إن هذا لحد بين الصغير والكبير، وكتب إلى عثمان أن يقرضوا لمن بلغ خمس عشرة"].

## كِتَابُ الصُّلْحِ

## ١- بَاب: لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ

١١٨١- عَنْ أُمِّ كَلْثُومِ بِنْتِ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - يَقُولُ: "لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْبِئِي" <sup>(١)</sup> خَيْرًا - أَوْ: يَقُولُ خَيْرًا - ". [رواه البخاري: ٢٦٩٢].

## ٢- بَاب: قَوْلُ الْإِمَامِ لِأَصْحَابِهِ: اذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ

١١٨٢- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ - بِذَلِكَ، فَقَالَ: "اذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ بَيْنَهُمْ". [رواه البخاري: ٢٦٩٣].

بَاب: إِذَا اضْطَلَّحُوا عَلَى صُلْحٍ جَوْرٍ فَالْصُّلْحُ مَرْدُودٌ

(٦٤) [عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ".] [رواه البخاري: ٢٦٩٧].

## ٣- بَاب: كَيْفَ يُكْتَبُ: هَذَا مَا صَالَحَ فُلَانٌ بِنَ فُلَانٍ بِنَ فُلَانٍ، وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ نَسَبِهِ

١١٨٣- عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ - فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدْخُلَهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: لَا نُقِرُّ بِهَا، فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ" ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: "امْحُ رَسُولُ اللَّهِ" قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - الْكِتَابَ، <sup>(٢)</sup> فَكَتَبَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلَاحٍ إِلَّا فِي الْقِرَابِ، <sup>(٣)</sup> وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ لَا يَمْنَعُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الْأَجَلَ، أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ -، فَتَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ: يَا عَمَّ يَا عَمَّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ، فَأَخَذَ

(١) (أي: يبلغ).

(٢) [وَزَادَ هُنَا فِي رِوَايَةٍ: وَلَيْسَ يُجْسَسُ يُكْتَبُ. (البخاري: ٤٢٥١)].

(٣) قراب السيف وغيره وعاءه.

بِيدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دُونَكَ ابْنَةُ عَمِّكَ أَحْمَلِيهَا، قَالَ: فَاحْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَحَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ - لِحَالَتِهَا، وَقَالَ: "الْحَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ" وَقَالَ لِعَلِيِّ: "أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ" وَقَالَ لَجَعْفَرٍ: "أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي" وَقَالَ لَزَيْدٍ: "أَنْتَ أَحْوَنَا وَمَوْلَانَا". [البخاري: ٢٦٩٩].

٤- باب: قَوْلِ النَّبِيِّ - لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ

بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ"

١١٨٤- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ،" <sup>(١)</sup> وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ". [البخاري: ٢٧٠٤].

٥- باب: هَلْ يُشِيرُ الْإِمَامُ بِالصُّلْحِ؟

١١٨٥- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَلِيَّةٌ أَصَوَاتُهُمْ، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ <sup>(٢)</sup> الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ - فَقَالَ: "أَيُّنَ الْمُتَأَلَّى" <sup>(٣)</sup> عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟" فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ. [رواه البخاري: ٢٧٠٥].

### كِتَابُ الشُّرُوطِ

١- باب: الشُّرُوطُ فِي الْمَهْرِ عِنْدَ عُقْدَةِ النِّكَاحِ

١١٨٦- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ". [رواه البخاري: ٢٧٢١].

<sup>(١)</sup> سيد مأخوذ من السوود وهي الرياسة والزعامة ورفعة القدر، ويطلق على الرب والمالك والرئيس والأمير والشريف والفاضل والكريم والحليم الذي يتحمل أذى قومه والزوج.

<sup>(٢)</sup> أي: جماعتين.

<sup>(٣)</sup> أي: يطلب منه الوضعية وهي ترك بعض الدين.

<sup>(٤)</sup> أي: الخالف المبالغ، والألية اليمين، يقال: آلى أي: حلف، والإيلاء: الحلف إلى مدة معينة، وهو شرعي، ويقال فيه ألا أيضاً.

## ٢- باب: الشُّرُوطِ الَّتِي لَا تَحِلُّ فِي الْحُدُودِ

١١٨٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الْخُصْمُ الْآخَرُ - وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ -: نَعَمْ، فَأَقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "قُلْ" قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا<sup>(١)</sup> عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي: أَنَّ عَلَى ابْنِي جَلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ:"<sup>(٢)</sup> الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ، اغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمَهَا" قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - فَرُجِمَتْ. [البخاري: ٢٧٢٤، ٢٧٢٥].

## ٣- باب: إِذَا اشْتَرَطَ فِي الْمُرَارَعَةِ إِذَا شِئْتُ أَخْرَجْتِكَ

١١٨٨- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا فَدَعَ أَهْلُ حَيْبَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ،<sup>(٣)</sup> قَامَ عُمَرُ حَاطِبِيًّا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - كَانَ عَامِلَ يَهُودَ حَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ: "نُفِرْكُمْ مَا أَقْرَكُمُ اللَّهُ" وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى مَالِهِ هُنَاكَ، فَعُدِّيَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَفَدَعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ، وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، هُمْ عَدُوْنَا وَتُهَمَّنُنَا، وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أُنْخِرْ جُنَا وَقَدْ أَقْرَنَا مُحَمَّدٌ -، وَعَامَلْنَا عَلَى الْأَمْوَالِ، وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتُ أَنَّي نَسَيْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ -: "كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ حَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصَكَ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ" فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً<sup>(٤)</sup> مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ، قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ،

(١) العسيف هو الأجير.

(٢) أي: بحكمه.

(٣) أي: أزالوا يده من مفصلها فاعوجت.

(٤) تصغير الهزل وهو ضد الجدد.

فَأَجْلَاهُمْ عُمُرٌ وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةً مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ: مَا لًا وَإِبِلًا وَعَرُوضًا مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. [رواه البخاري: ٢٧٣٠].

#### ٤- باب: الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ، وَالْمُصَالِحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ، وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ

١١٨٩- عَنْ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَحْرَمَةَ وَمَرْوَانَ قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ -: "إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَيْمِ،<sup>(١)</sup> فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً،<sup>(٢)</sup> فَخَذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ" فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةٍ<sup>(٣)</sup> الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَدِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ - حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّيْبَةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، بَرَكَتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ، فَأَلْحَتْ،<sup>(٤)</sup> فَقَالُوا: خَلَّاتُ الْقَصَوَاءِ،<sup>(٥)</sup> خَلَّاتُ الْقَصَوَاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "مَا خَلَّاتُ الْقَصَوَاءِ، وَمَا ذَلِكَ هَذَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفَيْلِ" ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً<sup>(٦)</sup> يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا" ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ،<sup>(٧)</sup> يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا،<sup>(٨)</sup> فَلَمْ يَلْبِثُهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - الْعَطَشُ، فَاتْتَرَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ،<sup>(٩)</sup> ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيئُ هُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَبَيَّنَّمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةً

(١) ماء بين عسفان وضحنان.

(٢) يقال لمن أرسل ليطلع علي خبر العدو.

(٣) أي: الغبرة.

(٤) أي: تبادت علي فعلها، وقوله: "حل حل" هو زجر الناقة للنهوض.

(٥) أي: امتنعت من المشي، وهو كالحران للفرس.

(٦) أي: قضية.

(٧) قيل: هو ما يظهر من الماء في الشتاء.

(٨) (هو الأخذ قليلاً قليلاً)، والبرض الماء القليل.

(٩) أي: ما يضع فيها سهامه، سميت بذلك لأنها تكنها أي: تحفظها.

نُصِحَ رَسُولُ اللَّهِ -<sup>(١)</sup> مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنِ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادًا<sup>(٢)</sup> مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمُطَافِيلُ،<sup>(٣)</sup> وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قَرِيشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ، وَأَصْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيَحْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جُمُوا،"<sup>(٤)</sup> وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفِرَ سَالِفَتِي،<sup>(٥)</sup> وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ"<sup>(٦)</sup> فَقَالَ بَدِيلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ. قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَرِيشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ نُخْبِرَنَّا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذُووُ الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ -، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوْلَسْتُ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَفْرَتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَحوَا<sup>(٧)</sup> عَلَيَّ جِئْتُمْ بِأَهْلِي وَوَالِدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ حُطَّةَ رُشْدٍ، اقبُلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: ائْتِيهِ، فَاتَّاهُ، فَجَعَلَ يَكْلُمُ النَّبِيَّ -، فَقَالَ النَّبِيُّ - نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبَدِيلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ،<sup>(٨)</sup> هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ

(١) (العيبة - بفتح المهملة وسكون التحتانية بعدها موحددة-) : ما توضع فيه الثياب لحفظها، أي أحمم موضع النصح له والأمانة على سره، ونصح بضم النون وحكى ابن التين فتحها، كأنه شبة الصدر الذي هو مستودع السر بالعبية التي هي مستودع الثياب).

(٢) العد - بكسر أوله- : الماء المجتمع المعين، ويطلق على الذي لا تنقطع مادته، وجمعه أعداد كند وأنداد.

(٣) هو النوق التي معها أولادها. والعوذ: جمع عائد وهي الناقة التي وضعت إلى أن يقوى ولدها.

(٤) أي: استراحوا.

(٥) أي: ينقطع عنقي؛ لأن السالفة أعلي العنق، وقيل: للإنسان سالفتان وهما جانبا العنق.

(٦) أي: يمضيه.

(٧) أي: عجزوا، يقال بلج الرجل إذا وقف من التعب.

(٨) استأصلت قومك، أي: قتلت جماعتهم فلم تبق منهم أصلاً.

مِنَ الْعَرَبِ اجْتَا حَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا<sup>(١)</sup> مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْضُصْ<sup>(٢)</sup> بِيْظِرْ<sup>(٣)</sup> اللَّاتِ، أَنْحُنْ نَفْرُ عَنْهُ وَنَدْعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدُكَ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجْبُتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ -، فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُعِيرَةُ بِنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ -، وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ، فَكَلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ - ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السِّيفِ،<sup>(٤)</sup> وَقَالَ لَهُ: أَخْرَجَ يَدَكَ عَنِ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ -، فَرَفَعَ عُرْوَةَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُعِيرَةُ بِنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيُّ غُدْرُ،<sup>(٥)</sup> أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُعِيرَةُ صَحَبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلْ، وَأَمَّا الْهَالِ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ" ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ - بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَحَّمْ رَسُولُ اللَّهِ - نُحَامَةً<sup>(٦)</sup> إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا<sup>(٧)</sup> يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوءِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ حَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ<sup>(٨)</sup> تَعْظِيمًا لَهُ. فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ<sup>(٩)</sup> وَكَيْسَرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا فَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمْ نُحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا

(١) أوشاب: أي أحلاط.

(٢) بفتح الصاد الأولى من المص.

(٣) هو ما يقطع من فرج المرأة عند الختان.

(٤) هي الحديدية التي تكون في أسفل القراب.

(٥) معناه: يا غادر، والغادر الناقض العهد.

(٦) هو ما يخرج من الفم من رطوبة الرأس أو الصدر، وقيل: بالميم من الرأس، وبالعين من الصدر.

(٧) يقال: كاد الشيء بمعنى قرب.

(٨) أي: يديمون أو يباليغون.

(٩) هو لقب من بملك الروم.

## مِحْرَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ حَفَظُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ حُطَّةً رُشِدًا<sup>(١)</sup> فَاقْبَلُوهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: آتِيهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ - وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -: "هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُذْنَ، فَابْعَثُوا لَهُ" فَبَعَثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قَلَّدَتْ وَأَشْرَعَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ مَكْرَزُ بْنُ حَنْصِ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: آتِيهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ -: "هَذَا مَكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ" فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ -، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ -: "لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ" فَقَالَ: هَاتِ اكِتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيَّ - الْكِتَابَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "اكِتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هِيَ، وَلَكِنْ اكِتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ النَّبِيُّ -: "اكِتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ" ثُمَّ قَالَ: "هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكِتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "وَاللَّهِ إِيَّيَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكِتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ" فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -: "عَلَى أَنْ تُحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ" فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُحْدِنَا ضِعْطَةً،<sup>(٢)</sup> وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُبُورِهِ،<sup>(٣)</sup> وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ" قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ -: "فَأَجِزْهُ لِي" قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ

(١) أي: أمر حق.

(٢) بالفتح ويروي بالضم أي: قهراً.

(٣) بضم السين ويقال بكسرهما: هو مشى المقيد.



لَكَ. قَالَ: "بَلَى فَاَفْعَلْ" قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مَكْرَزُ: بَلْ قَدْ أَجْرَنَاهُ لَكَ. قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ - فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: "بَلَى" قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: "بَلَى" قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ<sup>(١)</sup> فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: "إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَكَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي" قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: "بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟" قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ" قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ -، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِعَرْزِهِ،<sup>(٢)</sup> فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ. قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا.<sup>(٣)</sup> قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِصَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - لِأَصْحَابِهِ: "قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا" قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، أَخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿بِعِصْمِ الْكَوَافِرِ﴾ [المتحنة ١٠] فَطَلَّقَ عُمَرُ

(١) أي: الحقيرة وزنًا ومعنى.

(٢) الغرز - بفتح أوله وسكون ثانيه ثم زاي - هو ركاب البعير. (وهو - أي الغرز - للإبل بمنزلة الركب للفرس، والمراد به التمسك بأمره وترك المخالفة له، كالذي يمسك بركب الفارس فلا يفارقه).

(٣) [وفي الأصل: قال الزهري: قال عمر: "فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا" وهو موصول إلى الزهري بالسند المذكور في الصحيح، وهو منقطع بين الزهري وعمر. قاله الحافظ، وانظر الفتوح: ٣٤٦/٥].

(٤) جمع عصمة، وهي عقدة النكاح.

## مِحْرَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ - إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ - فَأَرْسَلُوا فِي طَلْبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَتَزَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرِهِمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَمَكَنَّهُ مِنْهُ، فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، <sup>(١)</sup> وَفَرَ الْآخَرَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعُدُّو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - حِينَ رَأَاهُ: "لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا" <sup>(٢)</sup> فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ - قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ -: "وَيْلُ أُمَّهِ، <sup>(٣)</sup> مِسْعَرُ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ" فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ، <sup>(٤)</sup> قَالَ: وَبَنَفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يُخْرِجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بَعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ - تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ - إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ الْحَمِيَّةَ ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ. [رواه البخاري: ٢٧٣١، ٢٧٣٢].

(١) أي: سكن وبطلت حركته.

(٢) أي: فرعًا.

(٣) هي كلمة تعجب لا يراد بها الدم.

(٤) أي: ساحله.

٥- باب: مَا يَجُوزُ مِنَ الْإِشْتِرَاطِ وَالشُّبْنِ فِي الْإِقْرَارِ، وَالشُّرُوطِ الَّتِي يَتَعَارَفُهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ، وَإِذَا قَالَ مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً أَوْ نِسْتَيْنِ

١١٩٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا<sup>(١)</sup> دَخَلَ الْجَنَّةَ". [رواه البخاري: ٢٧٣٦].

(٦٥) [وفي رواية: "لا يحفظها أحدٌ إلا دَخَلَ الجنة، وهو وثَرٌ يَجِبُ الوتر"] [البخاري: ٦٤١٠].<sup>(٢)</sup>

### كِتَابُ الْوَصَايَا

#### ١- باب: الْوَصَايَا

١١٩١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: "مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ". [رواه البخاري: ٢٧٣٨].

١١٩٢- عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَتَنَ رَسُولِ اللَّهِ -، أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ - عِنْدَ مَوْتِهِ دَرَاهِمًا، وَلَا دِينَارًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئًا، إِلَّا بَغَلَتَهُ الْبَيْضَاءُ، وَسَلَّاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً.<sup>(٣)</sup> [رواه البخاري: ٢٧٣٩].

١١٩٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ: <sup>(٤)</sup> هَلْ كَانَ النَّبِيُّ - أَوْصَى؟ فَقَالَ: لَا، فَقِيلَ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ - أَوْ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟ - <sup>(٥)</sup> قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ. [رواه البخاري: ٢٧٤٠].

#### ٢- باب: الصَّدَقَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ

١١٩٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ -: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "أَنْ

<sup>(١)</sup> أي: حفظها، وقيل: من أحاط بها علمًا ومعرفة، وقيل: إيمانًا وقيل: استخراجها من كتاب الله، وقيل: أطاق العمل بمقتضاها، وقيل: أخطرها بباله، وقيل: من عرف معانيها.

<sup>(٢)</sup> [في الدعوات/ باب: لِلَّهِ مِائَةٌ اسْمٌ غَيْرَ وَاحِدٍ].

<sup>(٣)</sup> [وفي رواية: وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. (رواه البخاري: ٤٤٦١)].

<sup>(٤)</sup> [والسائل: هو طلحة بن مصرف بن كعب بن عمرو، أَبُو عبد الله اليامي الهمداني الكوفي].

<sup>(٥)</sup> [زَادَ فِي رِوَايَةٍ: وَمُ يُوصِ. (البخاري: ٥٠٢٢)].

تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ حَرِيصٍ، تَأْمُلُ الْغِنَى، وَتَخْشَى الْفَقْرَ، وَلَا تُمَهِّلُ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْخُلُقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ".<sup>(١)</sup> [رواه البخاري: ٢٧٤٨].

### ٣- باب: هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالْوَالِدُ فِي الْأَقْرَابِ؟

١١٩٥- وَعَنْهُ - قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قَالَ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا". [رواه البخاري: ٢٧٥٣].

### ٤- باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ إِلَى

قَوْلِهِ: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٦ - ٧]

١١٩٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أَبَاهُ تَصَدَّقَ بِمَالٍ لَهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ثَمْعٌ، وَكَانَ نَخْلًا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي اسْتَفَدْتُ مَالًا، وَهُوَ عِنْدِي نَفِيسٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -: "تَصَدَّقْ بِأَصْلِهِ، لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ، وَلَكِنْ يُنْفَقُ ثَمْرُهُ" فَتَصَدَّقَ بِهِ عُمَرُ، فَصَدَقْتُهُ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي الرَّقَابِ،<sup>(٢)</sup> وَالْمَسَاكِينِ، وَالصَّيْفِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَلِذِي الْقُرْبَى، وَلَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُؤْكِلَ صَدِيقَهُ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ بِهِ. [رواه البخاري: ٢٧٦٤].

### ٥- باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]

١١٩٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، عَنْ النَّبِيِّ - قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ"<sup>(٣)</sup> قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا

(١) [هذا من المواضع المكررة في المختصر، وقد تقدم في في الزكاة/ باب: فضل صدقة الشحيح الصحيح/ ح: ٧١٥].

(٢) هم المكاتبون يعطون من الصدقات ما يفكون به رقابهم.

(٣) قال البخاري: المهلكات، وقال غيره: الموبق بعمله المحاسب عليه المعاقب.

هُنَّ؟ قَالَ: "الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ". [البخاري: ٢٧٦٦].

### ٦- باب: نَفَقَةِ الْقِيَمِ لِلْوَقْفِ

١١٩٨- وَعَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: "لَا يَفْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، مَا تَرَكَتْ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَثُونَةِ عَامِلِي، فَهُوَ صَدَقَةٌ". [رواه البخاري: ٢٧٧٦].

### ٧- باب: إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بَيْتًا أَوْ اشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دَلَاءِ الْمُسْلِمِينَ

١١٩٩- عَنْ عُثْمَانَ -: أَنَّهُ حَيْثُ حُوصِرَ، أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ -، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: "مَنْ حَفَرَ رُومَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ؟" فَحَفَرْتُمَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟" فَجَهَّزْتُمَا، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ. <sup>(١)</sup>  
[رواه البخاري: ٢٧٧٨].

٨- باب: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦-١٠٨]

١٢٠٠- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فَلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكَتِهِ فَقَدُوا جَمًّا مِنْ فِضَّةٍ مُحَوَّصًا مِنْ ذَهَبٍ، فَأَخْلَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ -، ثُمَّ وَجَدَ الْجَمَّ <sup>(٢)</sup> بِمَكَّةَ، فَقَالُوا: ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيِّ، فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَحَلَفَا: لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا، وَإِنَّ الْجَمَّ لِصَاحِبِهِمْ. قَالَ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾. [المائدة: ١٠٦].  
[رواه البخاري: ٢٧٨٠].

<sup>(١)</sup> [هذا مما خالف المصنف فيه شرطه، وهو من الأحاديث المعلقة في صحيح البخاري، وقد وصله الدارقطني والإسماعيلي وغيرهما. وانظر الفتح: ٤٠٧/٥، وتعليق التعليق: ٤٢٨/٣].  
<sup>(٢)</sup> هو إناء معروف من فضة أو غيرها، وهو مستدير لا قعر له غالبًا.

## رابعاً: شرح الحديث

### الحديث الأول:

عَنِ الْمُعِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (( إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ))<sup>(١)</sup>.

### التعريف بالصحابي راوي الحديث

هو: الْمُعِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ مَسْعُودٍ بْنِ مُعْتَبِ بْنِ الْأَمِيرِ أَبُو عَيْسَى. وَيُقَالُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ. مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ أُولِي الشَّجَاعَةِ وَالْمَكِيدَةِ. شَهِدَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ، أَسْلَمَ قَبْلَ عَمْرَةَ الْحَدِيثِيَّةِ وَشَهِدَهَا، وَشَهِدَ الْيَمَامَةَ وَفَتْحَ الشَّامِ، وَذَهَبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ، وَوَلَاهُ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْبَصْرَةَ مَدَّةً ثُمَّ نَقَلَ عَنْهَا فَوَلَاهُ الْكُوفَةَ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى قُتِلَ عَمْرُ، فَأَقْرَهُ عَثْمَانُ عَلَيْهَا ثُمَّ عَزَلَهُ، فَلَمَّا قَتَلَ عَثْمَانُ اعْتَرَلَ الْقِتَالَ إِلَى أَنْ حَضَرَ مَعَ الْحَكَمِيِّينَ، ثُمَّ بَاعَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، ثُمَّ وَوَلَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْكُوفَةَ فَاسْتَمَرَّ عَلَى إِمْرَتِهَا حَتَّى مَاتَ سَنَةَ خَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ. رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِائَةَ وَسِتَّةَ وَثَلَاثِينَ حَدِيثًا، اتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى تِسْعَةِ مِنْهَا، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِحَدِيثٍ، وَمُسْلِمٌ بِحَدِيثَيْنِ.<sup>(٢)</sup>

### معاني الكلمات:

(( إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ )) الْأُمَّهَاتُ جَمْعُ أُمِّهِ لُغَةً فِي الْأُمَّمِ وَلَا تُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْقُلُ بِخِلَافِ أُمَّ فَإِنَّهَا تَعُمُّ. وَالْمَعْنَى أَيُّ: مُخَالَفَتُهُمْ مِنَ الْعَقِّ، وَهُوَ الْقَطْعُ وَالشَّقُّ، وَالْمُرَادُ صُدُورُ مَا يَتَأَذَى بِهِ أَحَدُ الْوَالِدَيْنِ مِنْ وَلَدِهِ عُرْفًا بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. (وَوَأْدَ الْبَنَاتِ): بِسُكُونِ الْهَمْزِ وَيُبْدَلُ، أَيُّ: دَفَنَهُنَّ حَيَاتٍ.

(١) رواه البخاري (٢٤٠٨) ومسلم (٥٩٣)

(٢) راجع سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١) والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٥٦)

(وَمَنْعَ): بِسُكُونِ النَّوْنِ وَبِفَتْحِهَا، وَبِفَتْحِ الْعَيْنِ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ أَوْ مَاضٍ. (وَهَاتِ): بِكَسْرِ التَّاءِ هُوَ اسْمٌ فِعْلٌ بِمَعْنَى أَعْطَى، وَعَبَّرَ بِهِمَا عَنِ الْبُخْلِ وَالسُّؤَالِ أَي: كَرِهَ أَنْ يَمْنَعَ الرَّجُلُ مَا عِنْدَهُ مِنْ حَقُوقٍ، وَيَسْأَلَ مَا عِنْدَ غَيْرِهِ مِمَّا لَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِيهِ.

(قِيلَ وَقَالَ): فَهُوَ الْخَوْضُ فِي أَخْبَارِ النَّاسِ وَحِكَايَاتِ مَا لَا يَعْنِي مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ.

(وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ): إِمَّا سُؤَالَ مَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ سُؤَالَ النَّاسِ أُمُورَهُمْ بغيرِ حَاجَةٍ.

(إِضَاعَةُ الْمَالِ): فَهُوَ صَرْفُهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ الشَّرْعِيَّةِ وَتَعْرِيفُهُ لِلتَّلْفِ.

مَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- اشتمل هذا الحديث على ستة أشياء يجب على المسلم اجتنابها.

الأول: عقوق الأمهات

عقوق الأمهات: إيذاؤهن وعدم القيام بحقوقهن.

لماذا خصص الأمهات بالذكر في مسألة العقوق؟<sup>(١)</sup>

قال ابن دقيق العيد رحمته الله:

- وَتَخْصِيصُ الْعُقُوقِ بِالْأُمَّهَاتِ، مَعَ امْتِنَاعِهِ فِي الْآبَاءِ أَيْضًا، لِأَجْلِ شِدَّةِ حُقُوقِهِنَّ.

قال ابن حجر رحمته الله:

- خَصَّ الْأُمَّهَاتِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْعُقُوقَ إِلَيْهِنَّ أَسْرَعُ مِنَ الْآبَاءِ لِضَعْفِ النِّسَاءِ.

- وَلِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ بِرَّ الْأُمِّ مُقَدَّمٌ عَلَى بِرِّ الْآبِ فِي التَّلَطُّفِ وَالْحُنُوقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمته الله: لَمْ يُخَصَّ الْأُمَّهَاتُ بِالْعُقُوقِ، فَإِنَّ عُقُوقَ الْآبَاءِ مُحَرَّمٌ أَيْضًا، وَلَكِنْ نَبَّهَ

بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، فَإِنَّ بِرَّ الْأُمِّ مُقَدَّمٌ عَلَى بِرِّ الْآبِ إِلَّا أَنَّ لِعُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ مَزِيَّةً فِي الْقُبْحِ، وَحَقُّ

الْآبِ مُقَدَّمٌ فِي الطَّاعَةِ وَحُسْنِ الْمَتَابَعَةِ لِرَأْيِهِ وَالنُّفُوزِ لِأَمْرِهِ، وَقَبُولِ الْأَدَبِ مِنْهُ.

ضابط العقوق المحرم:<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر رحمته الله:

(١) راجع إحصاء الأحكام (١/ ٣٢٣) وفتح الباري لابن حجر (٥/ ٦٨) ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/

٣٠٨١

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٠٦) وسبل السلام (٢/ ٦٣٠)

وَالْمَرَادُ بِالْعُقُوقِ صُدُورُ مَا يَتَأَدَّى بِهِ الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ إِلَّا فِي شَرِكٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ مَا لَمْ يَتَعَنَّتِ الْوَالِدُ وَضَبَطَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ بِوُجُوبِ طَاعَتِهِمَا فِي الْمُبَاحَاتِ فِعْلًا وَتَرْكًا وَاسْتِحْبَابًا فِي الْمُنْدُوبَاتِ وَفُرُوضِ الْكِفَايَةِ.

قال الأمير الصنعاني رحمته الله:

وَصَابِطُ الْعُقُوقِ الْمُحَرَّمِ: أَنْ يَحْضُلَ مِنَ الْوَالِدِ لِلْأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا إِذَاءٌ لَيْسَ بِالْهَيْئِ عُرْفًا فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا مَا إِذَا حَصَلَ مِنَ الْأَبَوَيْنِ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ فَخَالَفَهُمَا بِمَا لَا يُعَدُّ فِي الْعُرْفِ مُحَالَفَتُهُ عُقُوقًا فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا، فَالْعُقُوقُ أَنْ يُؤْذِيَ الْوَالِدَ أَحَدَ أَبَوَيْهِ بِمَا لَوْ فَعَلَهُ مَعَ غَيْرِ أَبَوَيْهِ كَانَ مُحَرَّمًا مِنْ جُمْلَةِ الصَّغَائِرِ فَيَكُونُ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ كَبِيرَةً، أَوْ مُحَالَفَةً الْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ الْخَوْفُ عَلَى الْوَالِدِ مِنْ قَوَاتِ نَفْسِهِ أَوْ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ فِي غَيْرِ الْجِهَادِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ، أَوْ مُحَالَفَتَهُمَا فِي سَفَرٍ يَشُقُّ عَلَيْهَا وَلَيْسَ بِفَرَضٍ عَلَى الْوَالِدِ أَوْ فِي غَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا لَيْسَ لَطَلَبِ عِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ كَسْبٍ، أَوْ تَرْكِ تَعْظِيمِ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَوْ قَطَّبَ فِي وَجْهِهِ فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ الْغَيْرِ مَعْصِيَةً فَهُوَ عُقُوقٌ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ.

الثاني (وَأَدِ الْبَنَاتِ)

وهو: دفن البنات وهن أحياء:

وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك مخافة الفقر أو العار، لأن البنت ضعيفة المنة، عاجزة عن مزاحمة الرجال في كسب مادة الحياة فتكون عبئا على أبيها وحملًا ثقيلا، فكان بعضهم يقتل البنات لتخفف عنه ثقل معيشتهن، وبعض آخر يئذهن مخافة أن يجلبن عليه العار بزلة تجعل أهلها سبة الدهر. <sup>(١)</sup>

منشأ وأد البنات وأول من فعله

قال ابن حجر رحمته الله: يُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ التَّمِيمِيُّ وَكَانَ بَعْضُ أَعْدَائِهِ أَغَارَ عَلَيْهِ فَأَسْرَبَتْهُ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ ثُمَّ حَصَلَ بَيْنَهُمْ صُلْحٌ فَخَيْرَ ابْنَتَهُ فَاخْتَارَتْ زَوْجَهَا فَآلَى قَيْسٌ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا تُوَلَدَ لَهُ بِنْتُ إِلَّا دَفَنَهَا حَيَّةً فَتَعَبَهُ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ.

(١) الأدب النبوي (ص: ٢٧٦)



## أول من فدى الموءودة

قال ابن حجر رحمته الله:

كَانَ صَعَصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ التَّمِيمِيِّ وَهُوَ جَدُّ الْفَرَزْدَقِ هَمَّامُ بْنُ غَالِبِ بْنِ صَعَصَعَةَ أَوَّلُ مَنْ فَدَى الْمُوْءُودَةَ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فَيَفْدِي الْوَالِدَ مِنْهُ بِهَالٍ يَتَّفِقَانِ عَلَيْهِ وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ

وَجَدِّي الَّذِي مَنَعَ الْوَالِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ يُوَادِّ

لِمَاذَا خَصَّ الْبَنَاتَ بِالذِّكْرِ؟

قال ابن حجر رحمته الله:

وَإِنَّمَا خَصَّ الْبَنَاتَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ كَانَ الْغَالِبُ مِنْ فِعْلِهِمْ لِأَنَّ الذُّكُورَ مَطْنَةُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِكْتِسَابِ.

## صفة الواد

قال ابن حجر رحمته الله:

كَانُوا فِي صِفَةِ الْوَادِ عَلَى طَرِيقَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَأْمُرَ امْرَأَتَهُ إِذَا قَرَّبَ وَضَعَهَا أَنْ تُطَلِّقَ بِجَانِبِ حَفِيرَةٍ فَإِذَا وَضَعَتْ ذَكَرًا أَبْقَتْهُ وَإِذَا وَضَعَتْ أُنْثَى طَرَحَتْهَا فِي الْحَفِيرَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ إِذَا صَارَتِ الْبِنْتُ سُدَّاسِيَّةً قَالَ لِأُمِّهَا طَيِّبِهَا وَزَيِّنِهَا لِأَزْوَرِهَا أَقَارِبَهَا ثُمَّ يَبْعُدُ بِهَا فِي الصَّحْرَاءِ حَتَّى يَأْتِيَ الْبِئْرَ فَيَقُولُ لَهَا انْظُرِي فِيهَا وَيَدْفَعُهَا مِنْ خَلْفِهَا وَيَطْمُئِنُّهَا. <sup>(١)</sup>

## وثالثها: منع وهات:

والمراد بهما البخل بالمال عن الواجبات الشرعية وما تقتضيه المروءة من زكاة وبر وإعانة محتاج وغوث مستغيث، ونحو ذلك والطمع فيما ليس أهلا له، من ابتغاء أجر بدون عمل، أو زيادة على

استحقاق لها في ذلك من إضاعة المروءة وإذلال النفس وأكل المال بالباطل. <sup>(٢)</sup>

قال ابن الجوزي رحمته الله:

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٠٦)

(٢) الأدب النبوي (ص: ٢٧٦)

يَعْنِي مَنَعَ مَا عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ وَطَلَبَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذَهُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ. قَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: مَا مَعْنَى مَنَعَ وَهَاتِ؟ قَالَ: أَنْ تَمْنَعَ مَا عِنْدَكَ، وَلَا تَصَدُقَ، وَلَا تُعْطِيَ، وَتَمْدُ يَدَكَ فَتَأْخُذَ مِنَ النَّاسِ. <sup>(١)</sup>

#### ورابعها: قيل وقال: <sup>(٢)</sup>

والمراد تتبع أخبار الناس وأحوالهم للتحدث بها وإشاعتها وربما كان في شيء منها ما يغضب المقول فيه، من أمور كان يود إخفاءها، وأسرار لا يجب إذاعتها، فتنشأ العداوة وتنمو الضغينة ويعم الفساد والأذى.

أضف إلى ذلك ما يوصم به من كانت هذه صفته من المذلة والصغار، وما يلقاه من الناس من الإهانة والاحتقار.

#### قال ابن حجر رحمته الله:

قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ: فِي قِيلَ وَقَالَ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ  
أَحَدُهَا أَتَمُّهَا مَصْدَرَانِ لِلْقَوْلِ تَقُولُ قُلْتُ قَوْلًا وَقِيلًا وَقَالَ وَالْمُرَادُ فِي الْأَحَادِيثِ الْإِشَارَةُ إِلَى  
كَرَاهَةِ كَثْرَةِ الْكَلَامِ لِأَنَّهَا تُنَوِّلُ إِلَى الْخَطَا قَالَ وَإِنَّمَا كَرَّرَهُ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الزَّجْرِ عَنْهُ  
ثَانِيهَا إِرَادَةُ حِكَايَةِ أَقَاوِيلِ النَّاسِ وَالْبَحْثُ عَنْهَا لِيُخْبَرَ عَنْهَا فَيَقُولُ قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَقِيلَ كَذَا  
وَالنَّهْيُ عَنْهُ إِذَا لَزَّ جَرِّ عَنِ الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُ وَإِنَّمَا لَشَيْءٍ مَخْصُوصٍ مِنْهُ وَهُوَ مَا يَكْرَهُهُ الْمُحْكِمِيُّ عَنْهُ  
ثَالِثُهَا أَنَّ ذَلِكَ فِي حِكَايَةِ الْإِخْتِلَافِ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَقَوْلِهِ قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَقَالَ فُلَانٌ كَذَا وَحُلُّ  
كَرَاهَةِ ذَلِكَ أَنَّ يُكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُؤْمَنُ مَعَ الْإِكْثَارِ مِنَ الزَّلَلِ وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِمَنْ يَنْقُلُ ذَلِكَ  
مِنْ غَيْرِ تَبَيُّتٍ وَلَكِنْ يُقَلَّدُ مَنْ سَمِعَهُ وَلَا يَحْتَاطُ لَهُ. قُلْتُ: وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ (( كَفَى  
بِالرُّءِءِ إِنَّمَا أَنْ يُجَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ )).

#### وخامسها: (كثرة السؤال)

#### قال الملا على القاري رحمته الله:

<sup>(١)</sup> كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ١٠٤)

<sup>(٢)</sup> فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٠٧) والأدب النبوي (ص: ٢٧٦)

(وَكثْرَةُ السُّؤَالِ): بِالْهَمَزِ وَيُبَدَّلُ فِيهِ وَجُوهٌ، أَحَدُهَا: السُّؤَالُ عَنِ أُمُورِ النَّاسِ وَكَثْرَةُ الْبَحْثِ عَنْهَا. وَثَانِيهَا: مَسْأَلَةُ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ. قَالَ التُّورِبَشْتِيُّ: وَلَا أَرَى حَمْلَهُ عَلَى هَذَا، فَإِنَّ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الْكَثْرَةِ.

وَتَالِثُهَا: كَثْرَةُ السُّؤَالِ فِي الْعِلْمِ لِلْإِمْتِحَانِ وَإِظْهَارِ الْمِرَاءِ، وَقِيلَ بِلَا حَاجَةٍ أَوْ مُطْلَقًا، فَإِنَّهُ قَدْ يُفْضِي بِهِ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِ.

وَرَابِعُهَا: كَثْرَةُ سُؤَالِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ تَعَالَى: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ} [المائدة: ١٠١].<sup>(١)</sup>

### السادس: (إِضَاعَةُ الْمَالِ)

قال ابن حجر رحمته الله:

إِضَاعَةُ الْمَالِ: وَهُوَ مَا أَنْفَقَ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ الْمَأْذُونِ فِيهِ شَرْعًا سِوَاءَ كَانَتْ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً. **والعلة في ذلك:**

لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْمَالَ قِيَامًا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَفِي تَبْدِيرِهَا تَفْوِيتُ تِلْكَ الْمَصَالِحِ إِمَّا فِي حَقِّ مُضَيِّعِهَا وَإِمَّا فِي حَقِّ غَيْرِهِ

وَيَسْتَنْتَى مِنْ ذَلِكَ كَثْرَةَ إِنْفَاقِهِ فِي وَجْهِهِ الْبِرِّ لِتَحْصِيلِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ مَا لَمْ يُفَوِّتْ حَقًّا أُخْرَوِيًّا أَهَمَّ مِنْهُ.<sup>(٢)</sup>

### إنفاق المال على ثلاثة أوجه من حيث مدحه وذمه

قال ابن حجر رحمته الله:

الْحَاصِلُ فِي كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهٌ: الْأَوَّلُ: إِنْفَاقُهُ فِي الْوَجْهِ الْمَذْمُومَةِ شَرْعًا فَلَا شَكَّ فِي مَنْعِهِ. وَالثَّانِي: إِنْفَاقُهُ فِي الْوَجْهِ الْمَحْمُودَةِ شَرْعًا فَلَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مَطْلُوبًا مَا لَمْ يُفَوِّتْ حَقًّا أُخْرَوِيًّا أَهَمَّ مِنْهُ.

وَالثَّلَاثُ: إِنْفَاقُهُ فِي الْمُبَاهَاتِ بِالْأَصَالَةِ كَمَا لَدَّ النَّفْسِ فَهَذَا يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ يَلِيْقُ بِحَالِ الْمُتْنِفِقِ وَيَقْدِرُ مَالِهِ فَهَذَا لَيْسَ بِإِسْرَافٍ.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٨٢)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٠٨)

وَالثَّانِي: مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ عُرْفًا وَهُوَ يَنْقَسِمُ أَيْضًا إِلَى قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا مَا يَكُونُ لِدَفْعِ مَفْسَدَةٍ إِمَّا نَاجِزَةً أَوْ مُتَوَقَّعَةً فَهَذَا لَيْسَ بِإِسْرَافٍ.

وَالثَّانِي: مَا لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَالْجُمُهُورُ عَلَى أَنَّهُ إِسْرَافٌ وَذَهَبَ بَعْضُ الشَّافِعِيِّ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِإِسْرَافٍ قَالَ لِأَنَّهُ تَقْوَمُ بِهِ مَصْلَحَةُ الْبَدَنِ وَهُوَ عَرَضٌ صَاحِحٌ وَإِذَا كَانَ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ فَهُوَ مُبَاحٌ لَهُ. . . . وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ أَنَّهُ لَيْسَ مَذْمُومًا لِذَاتِهِ لَكِنَّهُ يُفْضَى غَالِبًا إِلَى ارْتِكَابِ الْمُحْذُورِ كَسُؤَالِ النَّاسِ وَمَا أَدَّى إِلَى الْمُحْذُورِ فَهُوَ مُحْذُورٌ.

وَمَا لَا خِلَافَ فِي كَرَاهِيَتِهِ مُجَاوِزَةً الْحَدِّ فِي الْإِنْتِفَاقِ عَلَى الْبِنَاءِ زِيَادَةً عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَلَا سِيَّيَا إِنْ أَصَافَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَالَغَةَ فِي الزَّخْرَفَةِ.

وَقَالَ الشُّبَيْكِيُّ: الضَّابِطُ فِي إِضَاعَةِ التَّهَالِ أَنْ لَا يَكُونَ لِعَرَضٍ دِينِيٍّ وَلَا دُنْيَوِيٍّ فَإِنْ انْتَفِيَ حَرْمٌ قَطْعًا وَإِنْ وُجِدَ أَحَدُهُمَا وَجُودًا لَهُ بَالٌ وَكَانَ الْإِنْتِفَاقُ لَاتِقًا بِالْحَالِ وَلَا مَعْصِيَةٍ فِيهِ جَازَ قَطْعًا. (١)

#### من فوائد الحديث:

- إثبات صفة الكره لله عز وجل وهي صفة كمال وجلال لله جل في علاه، ثبتت بالكتاب

وبالسننة وإجماع أهل السنة، وهي من صفات الله الفعلية.

#### الحديث الثاني

عن سُؤَيْدِ بْنِ عَفْلَةَ، قَالَ: لَقِيتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَخَذْتُ صُرَّةَ مِائَةِ دِينَارٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: "عَرَّفْتَهَا حَوْلًا"، فَعَرَّفْتُهَا حَوْلًا، فَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: "عَرَّفْتَهَا حَوْلًا" فَعَرَّفْتُهَا، فَلَمْ أَجِدْ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ ثَلَاثًا، فَقَالَ: "احْفَظْ وَعَاءَهَا وَعَدَدَهَا وَوِكَاءَهَا، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا، وَإِلَّا فَاسْتَمْتِعْ بِهَا". (٢)

#### التعريف بالصحابي:

هو أَبِي بَنُ كَعْبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ الْأَنْصَارِيِّ. سَيِّدُ الْقُرَاءِ، أَبُو مُنْذِرِ الْأَنْصَارِيِّ، الْبَدْرِيُّ.

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٠٨)

(٢) رواه البخاري (٢٤٢٦) ومسلم (١٧٢٣)

كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ - على قلة العارفين بالكتابة في عصره - ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتي على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ). قَالَ: اللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: (نَعَمْ). فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ.

ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ).

قَالَ مَعْمَرٌ: عَامَّةُ عِلْمِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ: عُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَأَبِيٌّ.

وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثاً.

مات سنة اثنتين وعشرين. وقيل: مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين.

#### معاني الكلمات:

(عَرَّفَهَا) أَيِ اذْكُرَهَا لِلنَّاسِ: يَقُولُ مَنْ ضَاعَتْ لَهُ نَفَقَةٌ أَوْ نَحَوَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَارَاتِ وَلَا يَذْكُرُ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ

(حولاً) سنة حسب عادة الناس وعرفهم في مثل هذه الأمور.

(وكاءها) الخيط الذي يربط به رأس الصرة أو الكيس.

(فإن جاء صاحبها) فاردها إليه. (وإلا) وإن لم يجيء صاحبها.

(فاستمتع بها) انتفع بها بعد أن تملكها على أن ترد قيمتها لصاحبها إن جاء بعد.

#### ما يستفاد من الحديث

- هذا الحديث يتكلم عن أحكام اللقطة.

وَاللُّقْطَةُ الشَّيْءُ الَّذِي يُلْتَقِطُ وَهُوَ بِضَمِّ اللَّامِ وَفَتْحِ الْقَافِ. وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَعْنَى فِيهَا اخْتَصَّتْ

بِهِ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَاهَا يَمِيلُ لِأَخْذِهَا فَسُمِّيَتْ بِاسْمِ الْفَاعِلِ لِذَلِكَ. <sup>(١)</sup>

- المال الضائع على ثلاثة أقسام:

(١) فتح الباري لابن حجر (٥ / ٧٨)

أولاً: ما لا يتبعه همة أوساط الناس.

كالعصا، والحبل، والرغيف، والتمرة، فهذا يجوز أخذه ولا يجب تعريفه.

لأن هذا الشيء زهيد، لكن يشترط في هذا القسم أن لا يكون عالماً بصاحبه.

ثانياً: الحيوان الذي يمتنع بنفسه من صغار السباع كالذئب والفهد، فهذا يحرم أخذه.

مثل: الإبل، فلا يجوز أخذها، ومثل: الثور والجاموس. لحديث زيد بن خالد رضي الله عنه، أن النبي

ﷺ، لما سُئِلَ عن ضَالَّةِ الإِبِلِ؟ تَمَعَّرَ وَجْهَهُ ﷺ، وَقَالَ: "مَا لَكَ وَهَذَا، مَعَهَا حَدَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا تَرُدُّ

الْمَاءَ، وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ". وهذا مذهب جمهور العلماء، أن ضالة الإبل لا تلتقط، وذهب الحنفية إلى أن

الأولى أن تلتقط، والصحيح مذهب الجمهور.

### حكمة النهي عن التقاط الإبل

قَالَ الْعُلَمَاءُ: حِكْمَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّقَاتِ الإِبِلِ أَنْ بَقَاءَهَا حَيْثُ ضَلَّتْ أَقْرَبُ إِلَى وَجْدَانِ مَالِكِهَا لَهَا

مِنْ تَطَلُّبِهَا فِي رِحَالِ النَّاسِ.

وَقَالُوا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى الإِبِلِ كُلِّ مَا امْتَنَعَ بِقُوَّتِهِ عَنِ صِغَارِ السَّبَاعِ. <sup>(١)</sup>

ثالثاً: ما تكثر قيمته من الأثمان والمتاع والحيوان الذي لا يمتنع من صغار السباع.

هل الأفضل الالتقاط أم الترك؟ على ثلاثة أقوال:

أ - الأفضل ترك الالتقاط. وهذا مذهب الحنابلة، وروى عن ابن عباس، وابن عمر، وجابر.

لأن تركها أسلم، ولأنه تعريض لنفسه لأكل الحرام. <sup>(٢)</sup>

ب - الأولى أخذها.

قال ابن قدامة رحمته الله:

وَمَنْ رَأَى أَخَذَهَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ وَالْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَخَذَهَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ

وَسُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ. قالوا: لأن في ذلك حفظ لمال المسلم.

ج - التفصيل على حسب حاله.

<sup>(١)</sup> فتح الباري لابن حجر (٥ / ٨٠)

<sup>(٢)</sup> المغني لابن قدامة (٦ / ٧٣)

- أن يخشى الواجد نفسه بأن يملكه ولا ينشده، فهنا يحرم.
  - أن يأمن نفسه على ذلك، ولا يخاف عليها [ أي اللقطة ]، فهنا السلامة أولى فيتركها.
- وهذا القول هو الصحيح.
- من وجد لقطة وأخذها، فإنه يجب أن يعرفها، لقوله (عرفها).
- ولأن إمساكها من غير تعريف تضييع لها عن صاحبها، فلم يجوز، كردها إلى موضعها أو إلقائها في غيره.

#### - مدة التعريف

أمر النبي ﷺ، بتعريفها ثلاث سنين وفي رواية سنة واحدة وفي رواية أن الراوي شك قال لا أدري قال حول أو ثلاثة أحوال وفي رواية عامين أو ثلاثة.

**قال القاضي عياض:** قيل في الجمع بين الروايات قولان أحدهما أن يطرح الشك والزيادة ويكون المراد سنة في رواية الشك وترد الزيادة لمخالفتها باقي الأحاديث والثاني أنها قضيتان فرواية زيد في التعريف سنة محمولة على أقل ما يجزئ ورواية أبي بن كعب في التعريف ثلاث سنين محمولة على الورع وزيادة الفضيلة **قال: وقد أجمع العلماء على الاكتفاء بتعريف سنة ولم يشترط أحد تعريف ثلاثة أعوام إلا ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولعله لم يثبت عنه.** (١)

#### - مكان التعريف:

قال العلماء: الأسواق، وأبواب المساجد والجوامع في الوقت الذي يجتمعون فيه، وكذلك مجامع الناس، وفي زمننا يكون نشدائها في الصحف والإذاعات والتلفاز، إذا كانت لقطة خطيرة.

#### - كيفية التعريف:

أن يذكر جنسها لا غير، فيقول: من ضاع منه ذهب، أو فضة، أو ثياب، أو نحو ذلك. ولا يصفها، لأنه لو وصفها لعلم صفتها من يسمعه فلا تبقى صفتها دليلاً على ملكها، ولأنه لا يأمن أن يدعيها بعض من سمع صفتها ويذكر صفتها التي يجب دفعها بها فيأخذها وهو لا يملكها، فتضييع على مالكها.

(١) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٢٦)

- لا يشترط أن يعرفها بنفسه، بل يجوز بوكيله.

- إن لم تعرف في مدة العام، جاز له إنفاقها وبقي مستعداً لإعطاء صاحبها عوضها مثلها، إن كانت مثلية، أو قيمتها إن كانت متقومة.

- **تصرف الملتقط في اللقطة: له أحوال:**

أولاً: أثناء الحول، لا يجوز أن يتصرف فيها، لأنها ليست ملكاً له.

ثانياً: بعد الحول، فله أن يتصرف فيها، لكن بعد أن يعرف صفاتها، من أجل إذا جاء صاحبها دفعها إليه أو مثلها أو قيمتها.

- **إذا هلكت اللقطة: فلها أحوال:**

أولاً: إذا هلكت في حول التعريف من غير تعدد ولا تفريط، فلا ضمان عليه.

ثانياً: إذا هلكت بعد تمام الحول، فلا ضمان عليه سواء فرط أو لم يفرط، لأنها دخلت في ملكه.

- **إذا جاء من يدعي اللقطة، وعرف صفاتها، فإنها تدفع إليه دون بينة.**

لأن النبي ﷺ، أطلق وقال: فإذا جاء أحد يخبرك بعددها ووعائها ووكائنها، فادفعها إليه.

**أجرة التعريف على صاحب اللقطة.**

هذا القول هو الصحيح، لأن التعريف من مصلحته. <sup>(١)</sup>

### ..... الحديث الثالث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ". <sup>(٢)</sup>

**التعريف بالصحابي:**

أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ، الْإِمَامُ، الْفَقِيهُ، الْمُجْتَهِدُ، الْحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ، الْيَمَانِيُّ، سَيِّدُ الْحَفَاطِ الْأَنْبَاتِ.

(١) إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٤ / ٢)

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٩)



في اسمه واسم أبيه اختلاف كثير لا يضبط ولا يحصر وأشهرها عبد الرحمن بن صخر كان اسمه قبل الإسلام عبد شمس.

قال: كناني رسول الله ﷺ بأبي هريرة لأنني كنت أحمل هرة في كمي فلما رأي قال ما هذه فقلت هرة فقال يا أبا هريرة.

نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخير، فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي ﷺ، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي.

توفي سنة تسع وخمسين وله سبع وثمانون سنة وقيل سنة ثمان وخمسين.

#### معاني الكلمات:

(مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ): مَا أَخَذَهُ الظَّالِمُ أَوْ تَعَرَّضَ لَهُ. (لِأَخِيهِ) أَي: فِي الدِّينِ (مِنْ عَرَضِهِ): أَي جَانِبِهِ الَّذِي يَصُونُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَنَسَبِهِ وَحَسَبِهِ وَيَتَحَامَى أَنْ يَنْتَقِصَ (أَوْ شَيْءٍ) أَي: أَمْرٌ آخَرَ كَأَخْذِ مَالِهِ أَوْ الْمَنْعِ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ، أَوْ هُوَ تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ (فِيَتَحَلَّلُهُ) أَي: فَلْيَطِبِ الظَّالِمُ حِلَّ مَا ذُكِرَ (مِنْهُ) أَي: مِنَ الْمَظْلُومِ فِي النَّهَائِيَةِ: يُقَالُ تَحَلَّلْتُهُ وَاسْتَحَلَلْتُهُ إِذَا سَأَلْتَهُ أَنْ يَجْعَلَكَ فِي حِلِّ (الْيَوْمِ) أَي: فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا (قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ) أَي: لَا يُوْجَدُ (دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ): وَهُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِي التَّعْبِيرِ بِهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْهُ، وَلَوْ بَدَلَ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ فِي بَدَلِ مَظْلَمَتِهِ، لِأَنَّ أَخْذَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ الْيَوْمَ عَلَى التَّحَلُّلِ أَهْوَنُ مِنْ أَخْذِ الْحَسَنَاتِ أَوْ وَضْعِ السَّيِّئَاتِ عَلَى تَقْدِيرِ عَدَمِ التَّحَلُّلِ. (إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ) أَي: بِأَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا ظَالِمًا غَيْرَ مَعْفُومٍ مِنَ الْمَظْلُومِ (أَخَذَ): بِصِغَةِ الْمَجْهُولِ أَي: عَمَلُهُ الصَّالِحُ (مِنْهُ) أَي: مِنْ صَاحِبِهِ الظَّالِمِ عَلَى غَيْرِهِ (بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ): وَمَعْرِفَةُ مَقْدَارِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ كَمِّيَّةً وَكَيْفِيَّةً مُفَوَّضَ عِلْمُهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ. (وَإِنْ لَمْ تَكُنْ) أَي: لَمْ تُوْجَدْ (لَهُ حَسَنَاتٌ) أَي: بَاقِيَةٌ أَوْ مُطْلَقًا (أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ) أَي: الْمَظْلُومِ (فَحَمَلَ عَلَيْهِ): بِصِغَةِ الْمَجْهُولِ مُحَقَّفًا أَي: فَوَضَعَ عَلَى الظَّالِمِ.

ما يستفاد من الحديث:

- بيان حرمة المسلم على أخيه المسلم دمه وماله وعرضه.
- التحذير من الوقوع في شيء من المظالم صغيرها وكبيرها.
- فيه الأمر بالاستحلال، ورد المظالم في الدنيا، وإلا أخذ للمظلوم حقه وافيًا في الآخرة.
- فيه إثبات يوم الجزاء - يوم القيامة - ويكون التعامل في هذا اليوم بالحسنات والسيئات، حيث لا درهم ولا دينار.
- فيه إثبات عدل الله تعالى، وأنه لا يظلم الناس شيئاً.
- فيه بيان سوء عاقبة الظالمين. {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: ٢٢٧]

#### الحديث الرابع

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ"، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: "فَإِذَا أَبِيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا"، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصْرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ".<sup>(١)</sup>

#### التعريف بالصحابي:

هو الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الخزرج. من سادات الأنصار وكان أبوه ممن شهد أحدا، وكان أبو سعيد من الحفاظ الكثيرين العلماء الفضلاء العقلاء.

روى عن النبي ﷺ، ألف ومائة وسبعين حديثاً، في (البخاري) و (مسلم): ثلاثة وأربعون. وأنفرد البخاري: بستة عشر حديثاً، و (مسلم): باثنين وخمسين.

توفي بالمدينة يوم الجمعة سنة أربع وسبعين، ودفن بالبقيع، وله عقب،

#### ما يستفاد من الحديث

- فيه بيان حقوق الطريق وآدابه ومنها:

(١) رواه البخاري (٢٤٦٥) ومسلم (٢١٢١)

## - الحق الأول غض البصر:

وذلك لأن في هذا النظر انتهاك لحرمت الآخرين، كما أنه ذريعة للزنا، والأمر بغض البصر يشترك فيه الرجال والنساء على حد سواء، لما في ذلك من المفساد العظيمة، فَإِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، وَمَنْ أَطْلَقَ لِحَظَاتِهِ دَامَتْ حَسْرَاتُهُ. وأصل كل شر ومبدؤه من النظر، فلو أنه غض بصره لارتاحت نفسه وارتاح قلبه. والشرع المطهر لم يغفل ما قد يقع من الناس بدون قصد منهم، فأمر بغض البصر قال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ {النور: ٣٠، ٣١}

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: "سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري" (١)

\* وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال لعلي ((: يَا عَلِيُّ لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّهَا لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ)). (٢)

قال الحافظ رحمه الله: علّة النهي عن الجلوس في الطُّرُقِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْفِتَنِ بِخُطُورِ النَّسَاءِ الشَّوَابِّ وَخَوْفِ مَا يَلْحَقُ مِنَ النَّظْرِ إِلَيْهِنَّ مِنْ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يُمْنَعِ النَّسَاءُ مِنَ الْمُرُورِ فِي الشَّوَارِعِ لِحَوَائِجِهِنَّ. (٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّيْنِ، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجْلُ زَنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ" (٤) قال ابن

(١) رواه مسلم (٢١٥٩)

(٢) رواه أحمد (٣٥٧ / ٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٣١٦ / ٢)

(٣) فتح الباري (١١ / ١١)

(٤) رواه مسلم (٢٦٥٧)

بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: سُمِّيَ النَّظْرُ وَالنُّطْقُ زِنًا لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الزَّنَا الْحَقِيقِيِّ وَلِذَلِكَ قَالَ وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيَكْذِبُهُ. (١)

وَفِي غَضِّ الْبَصْرِ عِدَّةُ مَنَافِعٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ وُضُوعِ أَثَرِ السَّهْمِ الْمُسْمُومِ - الَّذِي لَعَلَّ فِيهِ هَلَاقُهُ - إِلَى قَلْبِهِ.  
الثَّلَاثَةُ: أَنَّهُ يُورِثُ الْقَلْبَ أَنْسًا بِاللَّهِ وَجَمْعِيَّةً عَلَيْهِ، فَإِنَّ إِطْلَاقَ الْبَصْرِ يُورِثُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَيُفْرِحُهُ، كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَ الْبَصْرِ يُضْعِفُهُ وَيُجْزِنُهُ.  
الخَامِسَةُ: أَنَّهُ يَكْسِبُ الْقَلْبَ نُورًا، كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَهُ يُلْبِسُهُ ظُلْمَةً.  
السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُورِثُ فِرَاسَةً صَادِقَةً يُمَيِّزُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ.  
السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُورِثُ الْقَلْبَ ثَبَاتًا وَشَجَاعَةً وَقُوَّةً، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سُلْطَانِ النُّصْرَةِ وَالْحُجَّةِ، وَسُلْطَانِ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ يُسَدِّلُ عَلَى الشَّيْطَانِ مَدْخَلَهُ مِنَ الْقَلْبِ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ مَعَ النَّظْرَةِ وَيَنْقُذُ مَعَهَا إِلَى الْقَلْبِ أَسْرَعَ مِنْ نُفُوذِ الْهَوَاءِ فِي الْمَكَانِ الْخَالِي.

التَّاسِعَةُ: أَنَّهُ يَفْرُغُ الْقَلْبَ لِلْفِكْرَةِ فِي مَصَالِحِهِ وَالِاشْتِغَالِ بِهَا، وَإِطْلَاقَ الْبَصْرِ يُنْسِيهِ ذَلِكَ وَيَحْوِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَيَنْفَرِطُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْفُلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا} [سُورَةُ الْكَهْفِ: ٢٨].

العَاشِرَةُ: أَنَّ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مَنَقْذًا وَطَرِيقًا يُوجِبُ انْتِقَالَ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، وَأَنْ يَصْلَحَ بِصَلَاحِهِ، وَيَفْسُدَ بِفَسَادِهِ، فَإِذَا فَسَدَ الْقَلْبُ؛ فَسَدَ النَّظْرُ، وَإِذَا فَسَدَ النَّظْرُ؛ فَسَدَ الْقَلْبُ. (٢)

- الْحَقُّ الثَّانِي كَفِ الْأَدَى:

(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٢٦)

(٢) الداء والدواء (ص: ١٧٨)

قال الحافظ رحمه الله: **وَأَمَّا كَفُّ الْأَذَى فَاَلْمُرَادُ بِهِ: كَفُّ الْأَذَى عَنِ الْهَارَةِ بِأَنْ لَا يَجْلِسَ حَيْثُ يَضِيقُ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقُ أَوْ عَلَى بَابِ مَنْزِلٍ مَنْ يَتَأَذَى بِجُلُوسِهِ عَلَيْهِ أَوْ حَيْثُ يَكْشِفُ عِيَالَهُ أَوْ مَا يُرِيدُ التَّسْتُرَ بِهِ مِنْ حَالِهِ. قَالَهُ عِيَاضٌ قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كَفُّ أَذَى النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ. انْتَهَى. (١)**

**\* من أنواع الأذى التي نراها في الطرقات الآن:**

- همز ولمز المسلمين وبخاصة أهل التدين بدون وجه حق: قال الله تعالى متوعداً من يتعرض للمؤمنين بأي نوع من الأذى { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } [الأحزاب: ٥٨]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنْبَرَ فَتَأَذَى بِصَوْتِ رَفِيعٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ" قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: "مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ" (٢)**

- التبرج السافر الذي تعج به طرقات المسلمين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **"صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسْيَاطِ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا" (٣)**

- حمل السلاح لترهيب المسلمين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: **"لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ" (٤)**

(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ١٢)

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ / ١٣٢٣)

(٣) رواه مسلم (٢١٢٨)

(٤) رواه البخاري (٧٠٧٢) ومسلم (٢٦١٧)

- الصخب والضجيج بالغناء، وكذلك السبّ والشتم والقذف وهذا مما لا يخفى على أحد: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبِدِيءِ" (١) وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبَغِضُ الْفَاحِشَ الْبِدِيءِ" (٢)

- إلقاء القمامة والقاذورات في الطريق: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ" قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِي يَتَحَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ" (٣) وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ التَّحَلِّيِّ فِي طَرِيقِ النَّاسِ وَظِلِّهِمْ لِمَا فِيهِ مِنْ أَدِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِتَنْجِيسِ مَنْ يَمُرُّ بِهِ وَتَبْنِهِ وَاسْتِفْذَارِهِ. (٤) ويدخل في النهي كل ما يترتب عليه أذى للمسلمين في طرقهم.

#### - الحق الثالث رد السلام:

وهو من حق المسلم على أخيه فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (( حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ )) (٥)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . . . . ." (٦)

#### - الحق الرابع وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ (ص: ١٣٠)

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ (ص: ١٧٧)

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٩)

(٤) نَيْلُ الْأَوْطَارِ (١/ ١١٢)

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٤٠) وَمُسْلِمٌ (٢١٦٢)

(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٦٢)

ومن الواجبات - أيضاً - على أهل الطريق: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن الطرق يقع فيها ما يقع من التقصير، ومن ظهور بعض المنكرات، فالواجب على المؤمن إذا رأى شيئاً في الطريق ألا يسكت، بل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ". (١)

ثم إن التقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمره خطير وشره مستطير، فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في انتشار الموبقات في شوارع المسلمين ونواديبهم.

ولكن إذا أدى تغيير المنكر إلى منكر أشد، فإنه لا يجوز تغييره. وهذه قاعدة من قواعد الشرع المعتمدة كما قال الله تعالى { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } [الأنعام: ١٠٨] فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى سَبَّ آلهَةِ الْمُشْرِكِينَ - مَعَ كَوْنِ السَّبِّ غَيْظًا وَحِمِيَّةً لِلَّهِ وَإِهَانَةً لِآلِهَتِهِمْ - لِكَوْنِهِ ذَرِيعَةٌ إِلَى سَبِّهِمْ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَتْ مَصْلَحَةٌ تَرْكُ مَسَبِّهِ تَعَالَى أَرْجَحَ مِنْ مَصْلَحَةِ سَبِّ آلِهَتِهِمْ. (٢)

#### - الحق الخامس إسان الكلام:

فَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: كُنَّا قُعُودًا بِالْأَفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ: "مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعَدَاتِ اجْتَنَبُوا مَجَالِسِ الصُّعَدَاتِ، فَقُلْنَا إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَاسٍ قَعَدْنَا نَتَذَكَّرُ وَنَتَحَدَّثُ" قَالَ: "إِمَّا لَا فَأَدُّوا حَقَّهَا غَضُّ الْبَصْرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ" (٣)

#### - الحق السادس هداية من سأل عن الطريق:

ومن حقوق الطريق - أيضاً - إرشاد السائل عن الطريق، وهدايته إليه، سواء كان ضالاً أو غريباً أو أعمى.

(١) رواه مسلم (٤٩)

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١١٠)

(٣) رواه مسلم (١١٦١)

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" وذكر منها: "وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ" (١)

وجعل النبي ﷺ ذلك من الصدقات التي يتقرب بها العبد لربه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: "كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ...، وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (٢) (ودلُّ الطريق هو أن يدلَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الطَّرِيقَ عَلَيْهَا. وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَإِذَا شَأَكَ الرَّجُلُ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ" (٣)

### - الحق السابع إزالة الأذى من الطريق:

من الآداب المستحبة في الطريق؛ إزالة الأذى عن الطريق، بل هي شعبة من شعب من الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ" (٤)

### - الحق الثامن إعانة الرجل في حمله على دابته، أو رفع متاعه عليها، وإغاثة الملهوف:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ". (٥)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ" قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ "يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ" قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ:

(١) رواه مسلم (٢١٦٢)

(٢) رواه البخاري (٢٨٩١)

(٣) رواه الترمذي (١٩٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٦١)

(٤) رواه مسلم (٣٥)

(٥) رواه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩)



"يَعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ" قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: "يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْحَيْرِ" قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ"<sup>(١)</sup>

- الحق التاسع التواضع في المشي وعدم التكبر على الناس:

وذلك بأن يمشي الإنسان على الأرض هونا، أي مشيا لينا رقيقا، وذلك لقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: ٦٣] وقال سبحانه: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: ٣٧]

\* كل هذه الآداب يشترك فيها الرجال والنساء، ويختص النساء ببعض الآداب الزائدة منها:

١- أن لا تخرج متبرجة، بل عليها أن تستر جميع جسدها عملاً بقول الله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: ٥٩]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبيدين عيناً واحدة.

٢- لا تضع الطيب على ثيابها أو جسدها: لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فِيهَا زَانِيَةٌ)).<sup>(٢)</sup>

٣- أن لا تلبس حذاء له كعب عالي الذي يلفت لها أنظار الناس: قال تعالى {وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} [النور: ٣١]

٤- المشي على حافتي الطريق: لحديث حمزة بن أبي أسيد الأنصاري، عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: "استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحقن الطريق، عليكن بحافات الطريق" فكانت المرأة

<sup>(١)</sup> رواه البخاري (٥٦٧٦) ومسلم (١٠٠٨)

<sup>(٢)</sup> رواه أحمد (٤١٣ / ٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١ / ٥٢٥)

تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّىٰ إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ. (١) ومعنى تَحَقُّقِ الطَّرِيقِ: أي تتوسطن الطريق.

- أن لا ترفع صوتها أو تخضع به أمام الرجال الأجانب: عملاً بقول الله تعالى {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب: ٣٢]  
قال القرطبي رحمه الله: أي لا تُلِنَنَّ الْقَوْلَ. أَمَرَهُنَّ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُنَّ جَزْلاً وَكَلَامَهُنَّ فَضْلاً، وَلَا يَكُونَ عَلَىٰ وَجْهِ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ عِلَاقَةٌ بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْنِ. (٢)  
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ" (٣) وصوت المرأة منها فله حكمها.

#### الحديث الخامس

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (( مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا )) (٤).

#### التعريف بالصحابي:

هو النَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيِّ، الْأَمِيرُ، الْعَالِمُ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -  
وَأَبْنُ صَاحِبِهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، الْخَزْرَجِيُّ، ابْنُ أُخْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ.  
شَهِدَ أَبُوهُ بَدْرًا.

ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثمان سنين. وَسَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ - وَعُدَّ مِنَ الصَّحَابَةِ الصَّبِيَّانِ بِاتِّفَاقٍ. وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة في قول.

(١) رواه أبو داود (٥٢٧٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٢١)

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧٧)

(٣) رواه الترمذي (١١٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٣٤)

(٤) رواه البخاري (٢٤٩٣)

وجّهته نائلة (زوجة عثمان) بقميص عثمان، إلى معاوية، فنزل الشام. وشهد " صفين " مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد (سنة ٥٣ هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص.

واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله في آخر سنة أربع وستين. روى عن النبي ﷺ، مائة وأربعة عشر حديثاً. اتفقاً له على خمسة، وأنفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة.

#### معاني الكلمات:

**القائم في حدود الله تعالى:** أي: المستقيم على ما منع الله تعالى من مجاوزتها، ويُقال: المنكر لها، القائم في دفعها وإزالتها.

**والمراذ بالحدود:** ما نهى الله عنه. والحدود: ما منع الله عز وجل من مجاوزتها. قال الزجاج: وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه حد الدار: وهو ما يمنع غيرها من الدخول فيها.

**والمواقع فيها:** أي التارك للمعروف المرتكب للمنكر.

**استهموا:** اقترعوا.

#### ما يستفاد من الحديث

- في الحديث إثبات للقياس لدلالة الحديث على أن حكم الشيء حكم نظيره، وهذه هي حقيقة القياس.

لأنه يعطي المشبه حكم المشبه به في النجاة أو الهلاك.

#### - في الحديث إثبات لعدة قواعد فقهية منها:

- إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما، وفي معناها قولهم (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف)، وقولهم (يختار أهون الشرين). إذ أن على أهل السفينة أن يتحملوا الأذى الناشئ من صعود أهل السفلى ونزولهم؛ لأن مفسدته أهون من مفسدة غرق السفينة.

#### - ومن هذه القواعد قاعدة: (الضرر لا يزال بالضرر)

ووجه تعلق الحديث بهذه القاعدة أن الذين في أعلى السفينة كان يلحقهم ضرر من مرور أهل السفلى عليهم، لكن لما كانت إزالة هذا الضرر سترتب عليها خرق السفينة، فإنه يجب تحمل الضرر

الواقع وعدم السعي في إزالته، ولهذا كان احتجاج أهل السفلى بأنهم إنما يخرقون السفينة لمنع الأذى عن من فوقهم غير مقبول لأنهم إنما يريدون إزالة الضرر بما هو أضر منه.

-ومن هذه القواعد أيضاً قاعدة: (يُتَحَمَلُ الضَّرَرُ الْخَاصُّ لِأَجْلِ دَفْعِ الضَّرَرِ الْعَامِ)

ووجه تعلق هذه القاعدة بالحديث أن على أصحاب العلو تحمل الأذى الذي يلحقهم من صعود أهل السفلى ونزولهم دفعاً للضرر العام الذي سيصيب الجميع لو خرقت السفينة.

يُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَحْكَامِ الْفَقْهِيَّةِ الْآتِيَةِ: <sup>(١)</sup>

-وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تضافرت الأدلة على ذلك، كما قال تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [آل عمران: ١٠٤]

-إثبات العمل بالقرعة، وجواز قسمة العقار المتفاوت بالقرعة وإن كان فيه علو وسفل: فإن الرسول - ﷺ - قد ذكر الاقتراع في ركوب السفينة، ورضيه وضرب به المثل.

قَالَ ابْنُ بَطَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْقُرْعَةُ سُنَّةٌ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ الْعُدْلَ فِي الْقِسْمَةِ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ، وَالْفُقَهَاءُ مَتَّفِقُونَ عَلَى الْقَوْلِ بِهَا، وَخَالَفَهُمْ بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ، وَقَالُوا: لَا مَعْنَى لَهَا لِأَنَّهَا تَشْبَهُ الْأَزْلَامَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا.

-في الحديث استحقاق العقوبة في الآخرة بترك تغيير المنكر مع القدرة: لأن الهلاك المشار إليه في الحديث عام يشمل الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة.

قَالَ الْمُهَلَّبُ وَغَيْرُهُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَعْدِيبُ الْعَامَّةِ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ قَالَ ابْنُ حَجْرٍ: وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّ التَّعْدِيبَ الْمَذْكُورَ إِذَا وَقَعَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ مِنْ ذُنُوبٍ مَنْ وَقَعَ بِهِ أَوْ يَرْفَعُ مِنْ دَرَجَتِهِ.

- وَجُوبُ الصَّبْرِ عَلَى أَذَى الْجَارِ إِذَا خَشِيَ وَفُوعَ مَا هُوَ أَشَدُّ ضَرَرًا.

- وَأَنَّهُ لَيْسَ لِصَاحِبِ السُّفْلِ أَنْ يُجَدِّثَ عَلَى صَاحِبِ الْعُلُوِّ مَا يَضُرُّ بِهِ.

- وَأَنَّهُ إِنْ أَحْدَثَ عَلَيْهِ ضَرَرًا لَزِمَهُ إِصْلَاحُهُ وَأَنَّ لِصَاحِبِ الْعُلُوِّ مَنَعَهُ مِنَ الضَّرْرِ. <sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> شرح النووي على مسلم (٢/٢٣) وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/١٢) وفتح الباري لابن حجر (٥/٢٩٤)

<sup>(٢)</sup> فتح الباري لابن حجر (٥/٢٩٦)

### الحديث السادس

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا".<sup>(١)</sup>

#### التعريف بالصحابي:

عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ التَّيْمِيُّ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، بِنْتُ الْإِمَامِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ، خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ عُمَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ الْقُرَشِيِّ، التَّيْمِيُّ، الْمَكِّيُّ، النَّبَوِيُّ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ - أَفْقَهُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَأُمُّهَا: هِيَ أُمُّ رُوْمَانَ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عُوَيْمِرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أُذَيْنَةَ الْكِنَانِيَّةُ. هَاجَرَ بِعَائِشَةَ أَبَوَاهَا، وَتَزَوَّجَهَا نَبِيُّ اللَّهِ قَبْلَ مَهَاجِرِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الصِّدِّيقَةِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِبِضْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا، وَقِيلَ: بِعَامَيْنِ.

وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ، مَنَصْرَفَهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ. فَرَوَتْ عَنْهُ: عِلْمًا كَثِيرًا، طَيِّبًا، مُبَارَكًا فِيهِ.

رَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَعَشْرَةَ أَحَادِيثَ. اتَّفَقَ لَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى: مِائَةِ وَأَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ حَدِيثًا. وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ. وَانْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ. وَعَائِشَةُ مِمَّنْ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِهَا فِي سِنِينَ، وَكَانَتْ تَقُولُ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ. وَذَكَرَتْ أَنَّهَا لَحِقَتْ بِمَكَّةَ سَائِسَ الْفَيْلِ شَيْخًا أَعْمَى يَسْتَعْطِي.

وَكَانَتْ امْرَأَةً بِيضَاءَ جَمِيلَةً، وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ لَهَا: الْحَمِيرَاءُ، وَلَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ - بِكَرًّا غَيْرَهَا، وَلَا أَحَبَّ امْرَأَةً حُبَّهَا، وَلَا أَعْلَمَ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ - بَلْ وَلَا فِي النِّسَاءِ مُطْلَقًا امْرَأَةً أَعْلَمَ مِنْهَا. وَتَشْهَدُ أَنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّنَا ﷺ - فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) رواه البخاري (٢٥٨٥)

قبض النبي ﷺ، وهي بنت ثمان عشرة سنة، وبقيت إلى خلافة معاوية، وتوفيت سنة ثمان، وقيل: سبع وخمسين، وقد قاربت السبعين، وأوصت أن تدفن بالبقيع، وكان وصيها: عبد الله بن الزبير بن العوام.

### معاني الكلمات

قَوْلُهُ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا: أَي يُعْطِي الَّذِي يُهْدِي لَهُ بَدَلَهَا وَالْمُرَادُ بِالثَّوَابِ الْمُجَازَاةُ وَأَقْلَهُ مَا يُسَاوِي قِيَمَةَ الْهَدِيَّةِ.

### ما يستفاد من الحديث

قال ابن الجوزي رحمه الله:

إِنَّمَا كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ لِيُظْهِرَ حَسْنَ خَلْقِهِ، وَلِتَتَأَلَّفَ الْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ. وَإِنَّمَا كَانَ يَثِيبُ عَلَيْهَا لِيَثَلَّ بِهَا يَكُونُ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ مَنَّةٌ. <sup>(١)</sup>

### مسائل متعلقة بالهدية

#### الشروط الشرعية لجواز الهدية؟

يشترط لجواز الهدية:

- ١ - الإيجاب والقبول، فيقول الواهب مثلاً: وهبتك كذا، ويقول الموهوب له: قبلت، وأي قول أو فعل دل على هذا المعنى فله حكمه.
- ٢ - أن تكون في معلوم، فلا تصح في مجهول.
- ٣ - أن تكون مقدورا على تسليمها، فلا تصح في المعجوز عن تسليمه.
- ٤ - ألا تكون في المبيع قبل قبضه.
- ٥ - ألا تكون معلقة على شرط مستقبل.
- ٦ - العدل فيها، إذا كانت للأولاد، فلا يجوز أن يخص الوالد أحدا من أولاده بشيء دون الآخرين، على سبيل الأثرة.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٣٨٩)

٧ - ألا يقصد بها معنى الرشوة كهدايا العمال، مثل: هدية المراجع للموظف، والطالب

لأستاذه في الدراسة النظامية. (١)

### الصَّدَقَةُ وَالْهَدِيَّةُ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

الصَّدَقَةُ: مَا يُعْطَى لِرُجْهِ اللَّهِ عِبَادَةً مَحْضَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فِي شَخْصٍ مُعَيَّنٍ وَلَا طَلْبِ غَرَضٍ مِنْ جِهَتِهِ؛ لَكِنْ يُوضَعُ فِي مَوَاضِعِ الصَّدَقَةِ كَأَهْلِ الْحَاجَاتِ.

وَأَمَّا " الْهَدِيَّةُ " : فَيَقْصَدُ بِهَا إِكْرَامَ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ؛ إِمَّا لِمَحَبَّةٍ وَإِمَّا لِصَدَاقَةٍ؛ وَإِمَّا لِطَلْبِ حَاجَةٍ؛ وَهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا فَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ مِنَّةٌ وَلَا يَأْكُلُ أَوْ سَاخَ النَّاسِ الَّتِي يَنْطَهَرُونَ بِهَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَهِيَ الصَّدَقَاتُ وَلَمْ يَكُنْ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ لِذَلِكَ وَغَيْرِهِ. وَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَالصَّدَقَةُ أَفْضَلُ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْهَدِيَّةِ مَعْنَى تَكُونُ بِهِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقَةِ: مِثْلَ الْإِهْدَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ مَحَبَّةً لَهُ. وَمِثْلَ الْإِهْدَاءِ لِقَرِيبٍ يَصِلُ بِهِ رَحْمَهُ وَأَخْ لَهُ فِي اللَّهِ: فَهَذَا قَدْ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقَةِ. (٢)

### هل تقبل الهدية إذا كانت بقصد المساعدة؟

لا بأس بقبولها دون استشراف نفس، ويكافأ عليها إذا تيسر ذلك بما يناسب، أو يدعى له؛ لقوله ﷺ: " من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه " رواه أبو داود والنسائي. (٣)

### هل الهدية لا تهدى ولا تباع؟

هذه مقولة غير صحيحة، ومخالفة للشرع، بل من تملك هدية بطريق شرعي فإن له الحق في التصرف بها بيعاً وإجارة وإهداء ووقفاً، ولا حرج عليه في ذلك، ومن منع شيئاً من ذلك لم يُصَب، وقد جاء في السنة النبوية الصحيحة ما يدل على هذا.

فَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ أُكَيْدَرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَوْبَ حَرِيرٍ، فَأَعْطَاهُ عَلِيًّا، فَقَالَ: (شَقَّقَهُ حُمْرًا بَيْنَ الْفَوَاطِمِ). (٤)

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (١٦ / ١٧٠)

(٢) مجموع الفتاوى (٣١ / ٢٦٩)

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (١٦ / ١٧١)

**شراء المهدي الهدية من المهدي له**

لا يجوز للمهدي أن يشتري ما أهده لأخيه، فعن عمر رضي الله عنه قال: حملت على فرس في سبيل الله، فأضاعه صاحبه، فظننت أنه بائعه برخص، فسألت رسول الله - ﷺ - عن ذلك، فقال: (( لا تتبعه وإن أعطاكه بدرهم، فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه ))<sup>(١)</sup>.

**هدايا المعلمين والمعلمات في المدارس النظامية**

بذل الهدية للمعلم أو المعلمة في المدارس النظامية، حكومية أو غير حكومية - في معنى الرشوة، فلا يجوز دفعها ولا أخذها. وقد نهى النبي ﷺ عن هدايا العمال، فقد صح عنه ﷺ من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أنه قال: "هدايا العمال غلول" رواه أحمد وغيره. فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (٢٣ / ٥٨٣)

**هل يجوز قبول الهدية من شخص نعلم أنه يتعامل بالربا؟**

يجوز للإنسان أن يقبل هدية من يتعامل بالربا ويجوز أن يبايعه ويشاريه ويجوز أن يجيب دعوته لأن النبي ﷺ قبل الهدية من اليهود واشترى من يهودي طعاماً لأهله إلا إذا علمنا أننا إذا كلفنا عنه ولم نبايعه ولم نُشاره ولم نقبل هديته ارتدع عن الربا فحيث نذ نعمل ذلك لا نبيع معه ولا نشترى ولا نقبل هديته لأن هذا من باب التعاون على البر والتقوى.<sup>(٢)</sup>

**الحديث السابع**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ".<sup>(٣)</sup>

**التعريف بالصحابي:**

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ غَافِلِ بْنِ حَبِيبِ الْهُدَلِيِّ، الْإِمَامُ الْخَبَرِيُّ، فَقِيهُ الْأُمَّةِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهُدَلِيُّ، الْمَكِّيُّ، الْمُهَاجِرِيُّ، الْبَدْرِيُّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ.

(١) رواه البخاري (٢٤٧٢) ومسلم - واللفظ له - (٢٠٧١). موقع الإسلام سؤال وجواب (٥ / ٦١٨٦)

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (١٦ / ١٨٤)

(٣) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (١٦ / ٢)

(٤) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣)



كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوْلَى، وَمِنَ النَّجَبَاءِ الْعَالِمِينَ، شَهِدَ بَدْرًا، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَكَانَ يَوْمَ  
الْيَرْمُوكِ عَلَى النَّفْلِ، وَمَنَافِيهِ غَزِيرَةً، رَوَى عِلْمًا كَثِيرًا.  
أَسْلَمَ قَبْلَ دُخُولِ النَّبِيِّ ﷺ - دَارَ الْأَرْقَمِ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بِمَكَّةَ.  
وَلَا زَمَ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ صَاحِبَ نَعْلَيْهِ. مَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ.  
رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ثَمَانِي مِائَةً وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا.  
أَتَّفَقَ لَهُ فِي (الصَّحِيحَيْنِ) عَلَى أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ. وَانْفَرَدَ لَهُ الْبُخَارِيُّ بِإِخْرَاجِ أَحَدٍ وَعَشْرِينَ حَدِيثًا،  
وَمُسْلِمٌ بِإِخْرَاجِ خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ حَدِيثًا.

#### معاني الكلمات:

خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي: الْمُرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحَابَةُ.  
ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ: أَيِ الْقَرْنِ الَّذِي بَعْدَهُمْ وَهُمْ التَّابِعُونَ.  
ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ: وَهُمْ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ.  
(ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ) قِيلَ: ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ كَثْرَةِ شَهَادَةِ  
الرُّؤُوسِ وَالْيَمِينِ فَتَارَةً يَخْلِفُونَ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ، وَتَارَةً يَعْكِسُونَ.  
وقيل: هَذَا يُجْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَثَلًا فِي سُرْعَةِ الشَّهَادَةِ وَالْيَمِينِ، وَحِرْصِ الرَّجُلِ عَلَيْهَا، وَالْإِسْرَاعِ فِيهَا،  
حَتَّى لَا يَدْرِي أَنَّهُ بَأَيْهَا يَبْتَدِي، وَكَأَنَّهُ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ مِنْ قَلَّةِ مَبَالِغَتِهِ بِالَّذِينَ.<sup>(١)</sup>

#### ما يستفاد من الحديث:

##### المراد بالقرن

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: الْقَرْنُ الطَّبَقَةُ مِنَ النَّاسِ الْمُجْتَمِعِينَ فِي عَصْرِ وَاحِدٍ.<sup>(٢)</sup>  
وقال: وَالْقَرْنُ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمُقْصُودَةِ وَيُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ  
مُخْصُوصٌ بِهَا إِذَا اجْتَمَعُوا فِي زَمَنِ نَبِيٍّ أَوْ رَئِيسٍ يَجْمَعُهُمْ عَلَى مِلَّةٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ عَمَلٍ وَيُطْلَقُ الْقَرْنُ  
عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ.<sup>(٣)</sup>

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٤٤)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٧٤)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٥)

### الاختلاف في تحديد مدة القرن

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين لكن لم أر من صرح بالسبعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل. وذكر الجوهرِيُّ بين الثلاثين والثمانين.

وقد وقع في حديث عبد الله بن بسرٍ عند مسلمٍ ما يدلُّ على أن القرن مائة وهو المشهور ثم قال: وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة أو دونهما أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل - عامر بن واثلة اللبني - وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته عليه السلام فيكون مائة سنة أو تسعين أو سبعمائة وتسعين وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين وأما الذين بعدهم فإن اعتبر منها كان نحوًا من خمسين فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان والله أعلم. (١)

- قال النووي رحمته الله: اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه عليه السلام والمراد أصحابه. (٢)

- استدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل وهذا محمول على الغالب والأكثرية فقد وجد فيمن بعد الصحابة من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكورة المذمومة لكن بقليل بخلاف من بعد القرون الثلاثة فإن ذلك كثر فيهم واشتهر.

- وفيه بيان من تردُّ شهادتهم وهم من اتصف بالصفات المذكورة.

- واستدل به على جواز المقاضلة بين الصحابة قاله المازري. (٣)

- وقوله يشهدون ولا يستشهدون استدل به على أن من سمع رجلاً يقول لفلان عندي كذا فلا يسوغ له أن يشهد عليه بذلك إلا إن استشهده وهذا بخلاف من رأى رجلاً يقتل رجلاً أو يغصبه ماله فإنه يجوز له أن يشهد بذلك وإن لم يستشهده الجاني. (٤)

**هل جميع الصحابة أفضل من جميع من بعدهم؟**

(١) فتح الباري لابن حجر (٦ / ٧)

(٢) شرح النووي على مسلم (٨٤ / ١٦)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧ / ٧)

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢٦٠ / ٥)

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ فِي زَمَانِهِ بِأَمْرِهِ أَوْ أَنْفَقَ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ بِسَبَبِهِ لَا يَعْدِلُهُ فِي الْفَضْلِ أَحَدٌ بَعْدَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ ذَلِكَ فَهُوَ مَحَلُّ الْبُحْثِ، وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (( لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا )) الْآيَةُ. <sup>(١)</sup>

والمسألة على قولين عند أهل العلم: <sup>(٢)</sup>

١- ليس جميع الصحابة أفضل من جميع من جاء بعدهم

وهذا قول ابن عبد البر، لكن كلامه ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية.

- واحتج بحديث (( مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره )) وهو حديث حسن له طرُق قد يرتقي بها إلى الصحة.

وأجاب عنه النووي بما حاصله: أن المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان الذين يدركون عيسى بن مريم عليه السلام ويرون في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الإسلام ودحض كلمة الكفر فيشتهه الحال على من شاهد ذلك أي الزمانين خير وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله ﷺ (( خير القرون قرني )).

- وقد روى بن أبي شيبه من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين بإسناد حسن قال قال رسول الله ﷺ (( ليدركن المسيح أقوامًا إنهم لمثلكم أو خير - ثلاثًا - ولن يجزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها ))

- وروى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفته (( تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منًا يا رسول الله قال بل منكم )) وهو شاهد لحديث مثل أمي مثل المطر.

<sup>(١)</sup> فتح الباري لابن حجر (٦/٧)

<sup>(٢)</sup> راجع فتح الباري لابن حجر (٦/٧)

- وَرَوَى أَحْمَدُ وَالذَّارِمِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي جُمُعَةَ قَالَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا أَسْلَمْنَا مَعَكَ وَجَاهَدْنَا مَعَكَ قَالَ (( قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْني )) وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَقَدْ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

- وَاحْتَجَّ أَيْضًا بِأَنَّ السَّبَبَ فِي كَوْنِ الْقُرْنِ الْأَوَّلِ خَيْرَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ كَانُوا غُرَبَاءَ فِي إِيْمَانِهِمْ لِكَثْرَةِ الْكُفَّارِ حِينَئِذٍ وَصَبْرِهِمْ عَلَى آذَاهُمْ وَتَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ قَالَ فَكَذَلِكَ أَوَاخِرُهُمْ إِذَا أَقَامُوا الدِّينَ وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَصَبَرُوا عَلَى الطَّاعَةِ حِينَ ظَهَرِ الْمَعَاصِي وَالْفِتَنِ كَانُوا أَيْضًا عِنْدَ ذَلِكَ غُرَبَاءَ وَزَكَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَمَا زَكَتْ أَعْمَالُ أَوْلِيئِكَ وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ (( بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ))

وَقَدْ تُعْقَبُ كَلَامُ ابْنِ عَبْدِ الْبُرِّ بِأَنَّ مُقْتَضَى كَلَامِهِ أَنَّ يَكُونُ فَيَمَنُ يَأْتِي بَعْدَ الصَّحَابَةِ مَنْ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَبِذَلِكَ صَرَّحَ الْقُرْطُبِيُّ.

٢- أن جميع الصحابة أفضل من جميع من جاء بعدهم.

وهذا قول الجمهور من أهل العلم

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ فَضِيلَةَ الصَّحْبَةِ لَا يَعْدِلُهَا عَمَلُ الْمُسَاهِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وَإِنَّمَا مِنْ اتَّفَقَ لَهُ الذَّبُّ عَنْهُ وَالسَّبْقُ إِلَيْهِ بِالْهَجْرَةِ أَوْ النُّصْرَةِ وَضَبَطَ الشَّرْعُ الْمُتَلَقَّى عَنْهُ وَتَبْلِيغِهِ لِمَنْ بَعْدَهُ فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُهُ أَحَدٌ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُ لِأَنَّهُ مَا مِنْ خِصْلَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ إِلَّا وَالَّذِي سَبَقَ بِهَا مِثْلَ أَجْرٍ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ فَظَهَرَ فَضْلُهُمْ.

وَمُحْصَلُ النِّزَاعِ يَتَمَحَّضُ فَيَمَنُ لَمْ يَخْصُلْ لَهُ إِلَّا مُجَرَّدُ الْمَشَاهِدَةِ كَمَا تَقَدَّمَ فَإِنْ جُمِعَ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ كَانَ مُتَّجِهًا عَلَى أَنَّ حَدِيثَ (( لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرٌ خَمْسِينَ مِنْكُمْ )) لَا يَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ غَيْرِ الصَّحَابَةِ عَلَى الصَّحَابَةِ لِأَنَّ مُجَرَّدَ زِيَادَةِ الْأَجْرِ لَا يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الْأَفْضَلِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ.

- وَأَيْضًا فَالْأَجْرُ إِنَّمَا يَقَعُ تَفَاضُلُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يُبَايِلُهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ فَأَمَّا مَا فَازَ بِهِ مَنْ شَاهَدَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه مِنْ زِيَادَةِ فَضِيلَةِ الْمَشَاهِدَةِ فَلَا يَعْدِلُهُ فِيهَا أَحَدٌ فَبِهَذِهِ الطَّرِيقِ يُمَكِّنُ تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

اعتقاد أهل السنة في الصحابة:

قال الطحاوي رحمه الله: وَنَحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبَعِيرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبَعْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ. <sup>(١)</sup>

### الطاعن في الصحابة يطعن في أصول الشريعة.

عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ رحمه الله، أَنَّهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ - ﷺ - حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَمَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، وَإِنَّمَا آدَى إِلَيْنَا ذَلِكَ كُلُّهُ الصَّحَابَةُ، وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا؛ لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ. وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ. <sup>(٢)</sup>

### واجبنا نعو ما حدث بين الصحابة من قتال: <sup>(٣)</sup>

قال ابن تيمية رحمه الله: نُوْمِنُ بِالْإِمْسَاكِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَنَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ الْمُنْقُولِ فِي ذَلِكَ كَذِبٌ. وَهُمْ كَانُوا مُجْتَهِدِينَ؛ إِمَّا مُصِيبِينَ هُمْ أَجْرَانِ؛ أَوْ مُثَابِينَ عَلَى عَمَلِهِمُ الصَّالِحِ مَغْفُورٌ هُمْ خَطُؤُهُمْ؛ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ - وَقَدْ سَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى - فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا لَهُمْ؛ إِمَّا بِتَوْبَةٍ أَوْ بِحَسَنَاتٍ مَاحِيَةٍ أَوْ مَصَائِبَ مُكْفِّرَةٍ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وَجُوبِ مَنَعِ الطَّعْنِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ عَرَفَ الْمُحِقُّ مِنْهُمْ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ إِلَّا عَنِ الْجِهَادِ وَقَدْ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُخْطِئِ فِي الْإِجْتِهَادِ بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَرُ أَجْرًا وَاحِدًا وَأَنَّ الْمُصِيبَ يُؤْجَرُ أَجْرَيْنِ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى تَصْوِيبِ مَنْ قَاتَلَ مَعَ عَلِيٍّ لِامْتِثَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْتُوا الْآيَةَ فِيهَا الْأَمْرُ بِقِتَالِ الْفِتْنَةِ الْبَاطِنَةِ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا كَانُوا بُعَاةً وَهَؤُلَاءِ مَعَ هَذَا التَّصْوِيبِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُدْمُ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ بَلْ يَقُولُونَ اجْتَهَدُوا فَأَخْطَئُوا.

<sup>(١)</sup> شرح الطحاوية (ص: ٤٧٥)

<sup>(٢)</sup> فتح المغيب بشرح ألفية الحديث (٤/ ٩٥)

<sup>(٣)</sup> راجع مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٤) و (١٣/ ٦٧)

**الحديث الثامن**

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟" ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ" وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: "أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ"، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. <sup>(١)</sup>

**التعريف بالصحابي:**

هو أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ الطَّائِفِيُّ نَفِيعُ بْنُ الْحَارِثِ، مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ - .  
تَلَّى فِي حِصَارِ الطَّائِفِ بِبَكْرَةَ، وَفَرَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ، وَكُنِيَ يَوْمئِذٍ بِأَبِي بَكْرَةَ.  
سَكَنَ الْبَصْرَةَ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ.  
وهو ممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين.  
وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ. وَكَانَ أَوْلَادُهُ رُؤَسَاءَ الْبَصْرَةِ شَرَفًا وَمَالًا وَعِلْمًا وَوِلَايَةً.  
تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ: سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ.

**معاني الكلمات**

قوله ( ثَلَاثًا ): أي قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَلَى عَادَتِهِ فِي تَكْرِيرِ الشَّيْءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَأْكِيدًا لِيُتَبَهَ السَّمْعَ عَلَى إِحْضَارِ قَلْبِهِ وَفَهْمِهِ لِلْخَبَرِ الَّذِي يَذْكُرُهُ.

**الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ:** الشُّرْكُ هُوَ تَسْوِيَةٌ غَيْرُ اللَّهِ بِاللَّهِ فِيمَا هُوَ مِنْ خِصَائِصِ اللَّهِ.

**عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ:** الْعُقُوقُ الْمُرَادُ بِهِ صُدُورُ مَا يَتَأَذَى بِهِ الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

**معنى الزور:**

قال أبو هلال العسكري: الزور هو الكذب الذي قد سوي وحسن في الظاهر ليحسب أنه صدق وهو من قولك: زورت الشيء إذا سويته وحسنته.

**ضابط الزور:**

<sup>(١)</sup> رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧)

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: ضابطُ الزُّورِ وَصْفُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ وَقَدْ يُضَافُ إِلَى الْقَوْلِ فَيَشْمَلُ الْكُذِبَ وَالْبَاطِلَ وَقَدْ يُضَافُ إِلَى الشَّهَادَةِ فَيَخْتَصُّ بِهَا وَقَدْ يُضَافُ إِلَى الْفِعْلِ وَمِنْهُ لَا بَسَ ثَوْبِي زُورٌ. <sup>(١)</sup>

#### شهادة الزور:

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رحمته الله: شَهَادَةُ الزُّورِ هِيَ الشَّهَادَةُ بِالْكَذِبِ لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الْبَاطِلِ مِنْ إِتْلَافِ نَفْسِي أَوْ أَخْذِ مَالٍ أَوْ تَحْلِيلِ حَرَامٍ أَوْ تَحْرِيمِ حَلَالٍ. <sup>(٢)</sup>  
ما يستفاد من الحديث

- هل الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر؟

على قولين:

الأول: أنها تنقسم إلى صغائر وكبائر

قال ابن القيم رحمته الله: دَلَّ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ وَالْأئِمَّةَ، عَلَى أَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ كِبَائِرَ وَصَغَائِرَ. <sup>(٣)</sup>

والدليل قوله تعالى: ((إِن تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)).

وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [سُورَةُ النَّجْمِ: ٣٢].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ - رحمته الله - أَنَّهُ قَالَ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكِبَائِرَ".

قال ابن بطال رحمته الله: انْقِسَامُ الذُّنُوبِ إِلَى صَغَائِرٍ وَكِبَائِرٍ هُوَ قَوْلُ عَامَّةِ الْفُقَهَاءِ. وعزاه ابن حجر إلى الجمهور.

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله: قَدْ تَظَاهَرَتْ الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ رحمته الله: إِنكَارُ الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ لَا يَلِيْقُ بِالْفَقِيهِ. <sup>(٤)</sup>

**الثاني: ليس في الذنوب صغيرة بل كلها كبائر**

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤١٢)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤١٢)

(٣) الداء والدواء (ص: ١٢٥)

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٠٩)

وهو قول شاذ مخالف لصريح الأدلة كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:  
 وَشَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِي فَقَالَ لَيْسَ فِي الذُّنُوبِ صَغِيرَةٌ بَلْ كُلُّ مَا  
 نَهَى اللَّهُ عَنْهُ كَبِيرَةٌ وَنَقَلَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحَكَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنِ الْمُحَقِّقِينَ، وَنَسَبَهُ ابْنُ  
 بَطَّالٍ إِلَى الْأَشْعَرِيَّةِ.

وَاحْتَجُّوا: بَأَنَّ كُلَّ مُحَالَفَةٍ لِلَّهِ فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَلَالَةِ كَبِيرَةٍ.  
 فَالْمُعَاصِي كُلُّهَا كَبَائِرٌ وَإِنَّمَا يُقَالُ لِبَعْضِهَا صَغِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا كَمَا يُقَالُ الْقُبْلَةُ  
 الْمُحَرَّمَةُ صَغِيرَةٌ بِإِضَافَتِهَا إِلَى الزَّنَا وَكُلُّهَا كَبَائِرٌ.  
 وَأَجَابُوا عَنِ الْآيَةِ الَّتِي احْتَجَّ أَهْلُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ بِهَا أَنَّ الْمُرَادَ الشَّرْكَ.  
**- اختلف العلماء في تمييز الكبيرة من الصغيرة.**

قَالَ التَّوَوِيُّ وَاحْتَلَفُوا فِي ضَبْطِ الْكَبِيرَةِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا مُمْتَسِرًا:  
 فَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا: كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَهُ اللَّهُ بِنَارٍ أَوْ غَضِبَ أَوْ لعنة أَوْ عَذَابٍ.  
 وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنَارٍ فِي الْآخِرَةِ أَوْ أَوْجَبَ فِيهِ حَدًّا فِي الدُّنْيَا. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ  
 قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: كُلُّ جَرِيمَةٍ تُوذَنُ بِقَلْعَةِ كَبَائِرِهَا بِاللَّذِينَ وَرَقَّةَ الدِّيَانَةِ.  
 وَقَوْلُ الْحَلِيمِيِّ: كُلُّ مُحَرَّمٍ لِعَيْنِهِ مِنْهُيٌّ عَنْهُ لِمَعْنَى فِي نَفْسِهِ  
 وَقَالَ الرَّافِعِيُّ: هِيَ مَا أَوْجَبَ الْحَدَّ وَقِيلَ مَا يُلْحَقُ الْوَعِيدَ بِصَاحِبِهِ بِنَصِّ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ  
 وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ فِي الْقَوَاعِدِ: لَمْ أَقِفْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى ضَابِطٍ لِلْكَبِيرَةِ لَا يَسْلَمُ مِنَ  
 الْإِعْتِرَاضِ وَالْأَوْلَى ضَبْطُهَا بِمَا يُشْعَرُ بِتَهَاوُنٍ مُرْتَكِبِهَا بِدِينِهِ إِشْعَارًا دُونَ الْكَبَائِرِ الْمُنْصُوصِ عَلَيْهَا.  
 قُلْتُ (ابن حجر): وَهُوَ ضَابِطٌ جَيِّدٌ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمَفْهِمِ: الرَّاجِحُ أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ نُصِّ عَلَى كِبَرِهِ أَوْ عَظَمِهِ أَوْ تُوَعِّدَ عَلَيْهِ بِالْعِقَابِ  
 أَوْ عُقِّ عَلَيْهِ حَدٌّ أَوْ شُدِّدَ النِّكَيرُ عَلَيْهِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ. <sup>(١)</sup>

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤١٠)



وأجمع من عرفها ابن تيمية رحمته الله: أنها ما فيها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو ختم بلعنة أو غضب أو نفي إيمان أو نفي دخول الجنة.

**- أن الكبائر بعضها أشد من بعض.**

**- أن أكبر الكبائر وأعظمها الإشراك بالله.**

فصاحبه في النار مخلد إذا لم يتب، قال تعالى: ( إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ).

وهو محبط للعمل، قال تعالى: ( وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ).

**- فيه تعريم عقوق الوالدين.**

وقد قال تعالى: ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌ ".<sup>(١)</sup>

**- فيه وجوب الإحسان إلى الوالدين.**

**- فيه تعريم شهادة الزور.**

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: فَلَا شَيْءَ مِنَ الْكِبَائِرِ أَعْظَمَ ضَرَرًا مِنْهَا وَلَا أَكْثَرَ فَسَادًا بَعْدَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ.<sup>(٢)</sup>

**- حكم شهادة الزور:**

شهادة الزور من أكبر الكبائر.

قال الذهبي رحمته الله: شَهِدَ الزُّورُ قَدْ اِزْتَكَبَ عِظَائِمَ

(أَحَدَهَا) الْكُذِبَ وَالْإِفْتِرَاءَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {إِنِ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}

وَفِي الْحَدِيثِ (( يَطْبَعُ الْمُؤْمِنَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ ))

(وَتَأْنِيهَا) إِنَّهُ ظَلَمَ الَّذِي شَهِدَ عَلَيْهِ حَتَّى أَخَذَ بِشَهَادَتِهِ مَالَهُ وَعَرَضَهُ وَرُوحَهُ.

(وَتَأْنِيهَا) إِنَّهُ ظَلَمَ الَّذِي شَهِدَ لَهُ بِأَنْ سَاقَ إِلَيْهِ الْمَالَ الْحَرَامَ فَأَخَذَهُ بِشَهَادَتِهِ فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم (( مَنْ قَضَيْتَ لَهُ مِنْ مَالِ أَخِيهِ بَغْيٌ حَقٌّ فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ )).

<sup>(١)</sup> رواه أحمد (٢٠٣ / ٢) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢ / ٢٨٥)

<sup>(٢)</sup> فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤١٢)

(وَرَابِعَهَا) أَنَّهُ أَبَاحَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْدَّمِ وَالْعَرَضِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((  
أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِكَبِيرِ الْكِبَائِرِ... وذكر منه: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ)).<sup>(١)</sup>

قال ابن حجر الهيتمي رحمته الله: لَا فَرْقَ فِي كَوْنِ شَهَادَةِ الزُّورِ كَبِيرَةً بَيْنَ قَلِيلِ الْمَالِ وَكَثِيرِهِ فَطَمًا  
عَنْ هَذِهِ الْمُفْسَدَةِ الْقَبِيحَةِ الشَّنِيعَةِ جِدًّا.<sup>(٢)</sup>

- عَظَمَ شَهَادَةَ الزُّورِ وَسَبَبَ الْإِهْتِمَامَ بِهَا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: تُعَدُّ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشُّرْكِ. وَقَرَأَ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ  
الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.<sup>(٣)</sup>

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: قَوْلُهُ (( وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا )) يُشْعِرُ بِأَنَّهُ اهْتَمَّ بِذَلِكَ حَتَّى  
جَلَسَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَكِنًا، وَيُفِيدُ ذَلِكَ تَأْكِيدَ تَحْرِيمِهِ وَعِظَمَ قُبْحِهِ.

وَسَبَبُ الْإِهْتِمَامِ بِذَلِكَ كَوْنُ قَوْلِ الزُّورِ أَوْ شَهَادَةِ الزُّورِ أَسْهَلَ وَقُوْعًا عَلَى النَّاسِ وَالتَّهَوُّنِ بِهَا  
أَكْثَرَ فَإِنَّ الْإِشْرَاقَ يَنْبُو عَنْهُ قَلْبُ الْمُسْلِمِ، وَالْعُقُوقُ يَصْرِفُ عَنْهُ الطَّبْعَ، وَأَمَّا الزُّورُ فَالْحَوَامِلُ عَلَيْهِ  
كَثِيرَةٌ كَالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِهِمَا فَاحْتِيجَ إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِتَعْظِيمِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِعِظَمِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا  
دُكِرَ مَعَهَا مِنَ الْإِشْرَاقِ قَطْعًا بَلْ لِكَوْنِ مَفْسَدَةِ الزُّورِ مُتَعَدِّبَةً إِلَى غَيْرِ الشَّاهِدِ بِخِلَافِ الشُّرْكِ فَإِنَّ  
مَفْسَدَتَهُ قَاصِرَةٌ غَالِيًا.<sup>(٤)</sup>

- أن الإنسان لا يجوز أن يشهد إلا بما سمع أو رأى.

- نصح النبي ﷺ وتبليغه لأمته كل ما ينفعهم، وتحذيره مما يضرهم.

- حسن تعليمه ﷺ حينما ألقى عليهم هذه المسائل المهمة بطريق التنبيه، ليكون أعلق في

أذهانهم، وأرسخ في قلوبهم.

.....

### الحديث التاسع

(١) الكبائر للذهبي (ص: ٧٩)

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٣٢١)

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٣٦)

(٤) فتح الباري لابن حجر (٥/ ٢٦٣)

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ رَجُلًا عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ" مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فَلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ".<sup>(١)</sup>

### معاني الكلمات

قوله قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ: قطع العُنُق استِعَارَةٌ من قطع العُنُق الَّذِي هُوَ الْقَتْلُ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْهَلَاكِ لَكِنْ هَذَا الْهَلَاكُ فِي الدِّينِ وَذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ لَا مَحَالَةَ: أَي لَا حِيلَةَ لَهُ فِي تَرْكِ ذَلِكَ وَهِيَ بِمَعْنَى لَا بُدَّ

قَوْلُهُ وَاللَّهُ حَسِيبُهُ: أَي كَافِيهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هُنَا فِعْلٌ مِنَ الْحِسَابِ أَي مُحَاسَبَةٌ عَلَى عَمَلِهِ الَّذِي يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ وَهِيَ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ.

قَوْلُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا: أَي لَا أَقْطَعُ عَلَى عَاقِبَةِ أَحَدٍ وَلَا عَلَى مَا فِي صَمِيرِهِ لِكَوْنِ ذَلِكَ مُعَيَّبًا عَنْهُ.

### ما يستفاد من الحديث

أولاً: مشروعية تركية المسلم بما يعلم فيه عند الشهادة أو غيرها لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " فليقل أحسبه كذا أو كذا إن كان يعلم ذلك منه ".

ثانياً: استدلال أبو حنيفة بهذا الحديث على جواز الاكتفاء في التزكية برجل واحد وهو مذهب البخاري كما تدل عليه الترجمة، وبه قال أبو يوسف، وقال مالك والشافعي ومحمد بن الحسن: لا بد في التزكية من اثنين.

- ومن الفوائد: مدح المسلم لأخيه لمصلحة شرعية كالشهادة، أو التزكية، أو الدفاع عنه في غيبته، فإن ذلك قد يكون واجباً.

### - علة النهي عن المدح بما ليس في المدوح

- لأنه لا يَأْمَنُ أَنْ يُجِدَّ فِيهِ الْمُدْحُ كِبْرًا أَوْ إِعْجَابًا أَوْ يَكْلُهُ عَلَى مَا شَهَرَهُ بِهِ الْهَادِحُ فَيَقْتُرَ عَنِ الْعَمَلِ لِأَنَّ الَّذِي يَسْتَمِرُّ فِي الْعَمَلِ غَالِبًا هُوَ الَّذِي يَعُدُّ نَفْسَهُ مُقْصَرًّا.

(١) رواه البخاري (٢٦٦٢) ومسلم (٣٠٠٠)

- وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: أَفَّةُ الْمُدْحِ فِي الْمَادِحِ أَنَّهُ قَدْ يَكْذِبُ وَقَدْ يُرَائِي الْمُدْمُوْحَ بِمَدْحِهِ وَلَا سِيَّيَا إِنْ كَانَ فَاسِقًا أَوْ ظَالِمًا.

- وَقَدْ يَقُولُ مَا لَا يَتَحَقَّقُهُ مِمَّا لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ. (١)

### - شروط المدح الجائز

دل الحديث على جواز المدح بثلاثة شروط:

الأول: أن يكون المادح صادقاً فيما يقول في ممدوحه حسب اعتقاده. بدليل قوله (( إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ ))

الثاني: أن لا يخشى على الممدوح أن يغتر بذلك المديح، فتتغير نفسه، وتفسد أخلاقه، كما يشير إليه قوله - ﷺ -: " قطعت عنق صاحبك ".

الثالث: أن يكون المدح مجرداً عن الغلو والإطراء والقطع بتزكية أحد على الله مهما كان، لقوله - ﷺ -: " ولا أزكي على الله أحداً ".

### - كيف نجمع بين أحاديث النهي عن المدح والأحاديث التي جاء فيها المدح؟

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَرَدَّتْ الْأَحَادِيثُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُدْحِ وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِالْمُدْحِ فِي الْوَجْهِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَوَجْهُ الْجُمُعِ بَيْنَهُمَا أَنَّ النَّهْيَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُجَازَفَةِ فِي الْمُدْحِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَوْصَافِ أَوْ عَلَى مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ مِنْ إِعْجَابٍ وَنَحْوِهِ إِذَا سَمِعَ الْمُدْحَ.

وَأَمَّا مَنْ لَا يُخَافُ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِكَمَالِ تَقْوَاهُ وَرُسُوخِ عَقْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ فَلَا نَهْيَ فِي مَدْحِهِ فِي وَجْهِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُجَازَفَةٌ بَلْ إِنْ كَانَ يَحْضُلُ بِذَلِكَ مَصْلَحَةٌ كَنَشْطِهِ لِلْخَيْرِ أَوْ الْإِزْدِيَادِ مِنْهُ أَوْ الدَّوَامِ عَلَيْهِ أَوْ الْإِقْتِدَاءِ بِهِ كَانَ مُسْتَحَبًّا. (٢)

- ماذا يقول من مدحه الناس في وجهه؟

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٧٨)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨ / ١٢٦)

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا مَدَحَ الرَّجُلُ فِي وَجْهِهِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ وَلَا تُوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يظنون. <sup>(١)</sup>

- هل تجوز المبالغة في مدح النبي ﷺ؟

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَا تَطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ". <sup>(٢)</sup>

قال ابن الجوزي رحمته الله:

وَقَوْلُهُ: "لَا تَطْرُونِي" الْإِطْرَاءُ: الْإِفْرَاطُ فِي الْمَدْحِ. وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْمَدْحُ الْبَاطِلُ. وَالَّذِينَ أَطَرُوا عِيسَى ادْعَوْا أَنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ، وَاتَّخَذُوهُ إِلَهًا، وَلِذَلِكَ قَالَ: "وَلَكِنْ قُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ".

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا عَلِمْنَا أَنَّ أَحَدًا ادَّعَى فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا ادَّعَى فِي عِيسَى.

فَلْجَوَابَ أَنَّهُمْ بِالْغَوَا فِي تَعْظِيمِهِ، حَتَّى قَالَ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتَ رَجَالًا بِالْيَمَنِ يَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ فَقَالَ: (( لَوْ كُنْتُ آمِرًا بِشَرِّ مَا أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، لِأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرُجُلٍ )) فَهَاهُنَا عَمَّا عَسَاهُ يَبْلُغُ بِهِمُ الْعِبَادَةَ. ثُمَّ لَيْسَ مِنْ شَرِّ النَّهْيِ أَنْ يَكُونَ الْمُنْهَى عَنْهُ قَدْ فَعَلَ، وَإِنَّمَا هُوَ مَنَعٌ مِنْ أَمْرٍ يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ. <sup>(٣)</sup>

**حكم التسمي بأسماء فيها مدح أو ذم**

قَالَ الطَّبْرِيُّ رحمته الله: لَا تَنْبَغِي التَّسْمِيَةُ بِاسْمٍ قَبِيحٍ مُعْنَى وَلَا بِاسْمٍ يَقْتَضِي التَّزْكِيَةَ لَهُ وَلَا بِاسْمٍ مَعْنَاهُ السَّبُّ وَلَوْ كَانَتْ الْأَسْمَاءُ إِنَّمَا هِيَ أَعْلَامٌ لِلْأَشْخَاصِ لَا يَقْصَدُ بِهَا حَقِيقَةُ الصِّفَةِ لَكِنْ وَجْهُ الْكِرَاهَةِ أَنْ يَسْمَعَ سَامِعٌ بِالْإِسْمِ فَيَظُنُّ أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْمَسْمَى فَلِذَلِكَ كَانَ رحمته الله يُحَوِّلُ الْإِسْمَ إِلَى مَا إِذَا دُعِيَ بِهِ صَاحِبُهُ كَانَ صِدْقًا. <sup>(٤)</sup>

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٧٨)

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥)

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١ / ٦٥)

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٥٧٧)

قال ابن القيم وهو يستعرض علل النهي عن التسمي بالأسماء التي تحمل معنى التزكية والمدح: وَأَمْرٌ آخَرَ: وَهُوَ ظَنُّ الْمُسَمَّى وَاعْتِقَادُهُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ كَذَلِكَ فَيَقَعُ فِي تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ وَتَعْظِيمِهَا، وَتَرْفُعِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي نَهَى النَّبِيُّ ﷺ لِأَجْلِهِ أَنْ تُسَمَّى "بِرَّةً"، وَقَالَ: ( " لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ " )<sup>(١)</sup>.

### الحديث العاشر

عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها: أَنَّمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُضْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا"<sup>(٢)</sup>.  
وزاد مسلم: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.

### التعريف بالصحابي:

هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي.

من المهاجرات. أسلمت بمكة، وبأيعت، ولم يتهاها لها هجرة إلى سنة سبع. وقيل: هي أول من هاجر من النساء.

وكان خروجهما زمن صلح الحديبية، فخرج في إثرها أخواها؛ الوليد وعماره، فما زالا حتى قدما المدينة، فقالا: يا محمد! ف لنا بشرطنا.

فقالت: أتردني يا رسول الله إلى الكفار يفتنونني عن ديني ولا صبر لي، وحال النساء في الضعف ما قد علمت؟

فأنزل الله - تعالى - : { إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ، فَاْمْتَحِنُوهُنَّ . . . } الْآيَتَيْنِ [الممتحنة]:

[١٠ - ١١].

(١) زاد المعاد (٢/ ٣١٤)

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٢) ومسلم (٢٦٠٥)

فَكَانَ يَقُولُ: (اللَّهُ مَا أَخْرَجَكُنَّ إِلَّا حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْإِسْلَامُ؟ مَا خَرَجْتَنِ لِرِزْقٍ، وَلَا مَالٍ؟).  
فَإِذَا قُلْنَا ذَلِكَ، لَمْ يُرْجِعْهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ.  
وَلَمْ يَكُنْ لَأُمَّ كُثُومٍ بِمَكَّةَ زَوْجٌ، فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ  
عَوْفٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ: إِبْرَاهِيمَ، وَحَمِيدًا، فَلَمَّا تُوِّفِيَ عَنْهَا، تَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَتُوِّفِيَ عَنْهُ.  
رَوَتْ: عَشْرَةَ أَحَادِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، لَهَا فِي (الصَّحِيحَيْنِ): حَدِيثٌ وَاحِدٌ.  
تُوِّفِيَ فِي: خِلَافَةِ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.<sup>(١)</sup>

#### معاني الكلمات:

**الْكَذِبُ:** هو الإخبارُ بِالشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ.  
قَوْلُهُ: " فِينمى خيرا " : أَيْ يُبَلِّغُ. تَقُولُ: نَمَيْتُ الْحَدِيثَ أَنْمِيهِ إِذَا بَلَّغْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ  
وَطَلَبِ الْخَيْرِ، فَإِذَا بَلَّغْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِفْسَادِ وَالنَّمِيمَةِ قُلْتَ نَمَيْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ.  
ما يستفاد من الحديث:

- هذا الحديث دليل على أن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد والحفاظ على ترابطهم.  
قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: انْظُرْ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ لِاجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ كَيْفَ حَرَّمَ النَّمِيمَةَ وَهِيَ  
صِدْقٌ لِمَا فِيهَا مِنْ إِفْسَادِ الْقُلُوبِ وَتَوَلِيدِ الْعَدَاوَةِ، وَالْوَحْشَةِ وَأَبَاحِ الْكُذِبِ، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا إِذَا  
كَانَ لِحُجْمِ الْقُلُوبِ وَجَلْبِ الْمُوَدَّةِ وَإِذْهَابِ الْعَدَاوَةِ.<sup>(٢)</sup>  
- فيه الترغيب في الإصلاح بين الناس، وإزالة الخصومات فيما بينهم، سواء كانت في القضايا  
المالية، أو في الأحوال الشخصية، أو بين أعضاء الأسرة فإنه مندوب إليه شرعاً.  
- المقصود بالكذب في هذا الحديث:  
قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الْقَاضِي لَا خِلَافَ فِي جَوَازِ الْكُذِبِ فِي هَذِهِ الصُّورِ  
وَإِخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْكَذِبِ الْمُبَاحِ فِيهَا مَا هُوَ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٧)

(٢) سبيل السلام (٢/ ٦٨٤)

١ - فَقَالَتْ طَائِفَةٌ هُوَ عَلَى إِطْلَاقِهِ وَأَجَازُوا قَوْلَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ لِلْمَصْلَحَةِ وَقَالُوا  
الْكَذِبُ الْمَذْمُومُ مَا فِيهِ مَضَرَّةٌ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته الله: اعْلَمْ أَنَّ الْكَذِبَ لَيْسَ حَرَامًا لِعَيْنِهِ، بَلْ لَهَا  
فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ، وَالْكَلَامِ وَسِيلَةٌ إِلَى الْمَقَاصِدِ.

وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ رحمته الله (( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ )) وَ (( إِنِّي سَقِيمٌ ))  
وَقَوْلُهُ: إِنِّي أَخْتِي وَقَوْلِ مُنَادِي يُوسُفَ رحمته الله (( أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ))  
وَبِهَذَا الْقَوْلِ جَزَمَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ.

٢ - وَقَالَ آخَرُونَ لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي شَيْءٍ أَصْلًا قَالُوا وَمَا جَاءَ مِنَ الْإِبَاحَةِ فِي هَذَا الْمُرَادِ بِهِ  
التَّوْرِيَّةُ وَاسْتِعْمَالُ الْمُعَارِيضِ لَا صَرِيحُ الْكَذِبِ، مِثْلُ أَنْ يَعِدَ زَوْجَتَهُ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهَا أَوْ يَكْسُوَهَا كَذَا  
وَيَنْوِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ

وَحَاصِلُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِكَلِمَاتٍ مُحْتَمَلَةٍ يَفْهَمُ الْمُخَاطَبُ مِنْهَا مَا يَطِيبُ قَلْبَهُ وَإِذَا سَعَى فِي الْإِصْلَاحِ  
نَقَلَ عَنِ هَؤُلَاءِ إِلَى هَؤُلَاءِ كَلَامًا جَمِيلًا وَمِنْ هَؤُلَاءِ إِلَى هَؤُلَاءِ كَذَلِكَ وَوَرَى.

وَكَذَا فِي الْحَرْبِ بَأَنْ يَقُولَ لِعَدُوِّهِ: مَاتَ إِمَامُكُمْ الْأَعْظَمُ! وَيَنْوِي إِمَامَهُمْ فِي الْأَزْمَانِ التَّاهِيَةِ،  
أَوْ عَدَا يَأْتِيَانَا مَدَدٌ أَيْ طَعَامٌ أَوْ نَحْوُ هَذَا مِنَ الْمُعَارِيضِ الْمُبَاحَةِ فَكُلُّ هَذَا جَائِزٌ.

وَتَأَوَّلُوا قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَيُوسُفَ وَمَا جَاءَ مِنْ هَذَا عَلَى الْمُعَارِيضِ  
وَأَمَّا كَذِبُهُ لِرِزْوَجَتِهِ وَكَذِبُهَا لَهُ فَالْمُرَادُ بِهِ فِي إِظْهَارِ الْوُدِّ وَالْوَعْدِ بِمَا لَا يَلْزَمُ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِهَذَا  
الْقَوْلِ جَزَمَ الطَّبْرِيُّ وَالْمُهَلَّبُ وَالْأَصِيلِيُّ وَغَيْرُهُمْ. <sup>(١)</sup>

- اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَذِبِ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا لَا يُسْقِطُ حَقًّا عَلَيْهِ أَوْ  
عَلَيْهَا أَوْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ أَوْ هَذَا.

- وَاتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ الْكَذِبِ عِنْدَ الْإِضْطِرَارِ كَمَا لَوْ قَصَدَ ظَالِمٌ قَتْلَ رَجُلٍ وَهُوَ مُحْتَفٍ عِنْدَهُ فَلَهُ  
أَنْ يَنْفِي كَوْنَهُ عِنْدَهُ وَيَخْلِفَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَأْثَمُ. <sup>(٢)</sup>

أقسام الكذب:

<sup>(١)</sup> شرح النووي على مسلم (١٥٨ / ١٦)

<sup>(٢)</sup> فتح الباري لابن حجر (٣٠٠ / ٥)



فَسَمَّ الْغَزَالِيَّ الْكَذِبَ فِي الْإِحْيَاءِ إِلَى وَاجِبٍ وَمُبَاحٍ وَمُحَرَّمٍ وَقَالَ:  
- **الأول محرم:** وهو إنَّ كُلَّ مَقْصِدٍ مَحْمُودٍ يُمَكِّنُ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِالصِّدْقِ، وَالْكَذِبِ جَمِيعًا،  
فَالْكَذِبُ فِيهِ حَرَامٌ.

- **الثاني مباح:** وَ هُوَ إِنْ أَمَكَّنَ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِالْكَذِبِ وَحَدَهُ فَمُبَاحٌ إِنْ أُنتَجَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ  
الْمَقْصُودِ، وَكَذَا إِذَا كَانَ لَا يَتِمُّ مَقْصُودٌ حَرْبٍ أَوْ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَوْ اسْتِمَالَةِ قَلْبِ الْمُجَنَّبِيِّ عَلَيْهِ  
إِلَّا بِالْكَذِبِ فَهُوَ مُبَاحٌ.

- **الثالث واجب:** وهو إنَّ وَجَبَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ، وَهُوَ إِذَا كَانَ فِيهِ عِصْمَةٌ مَنْ يَجِبُ إِنْقَاذُهُ، كَمَا لَوْ  
رَأَى رَجُلًا يَسْعَى وَرَاءَ رَجُلٍ بِسَيْفٍ لِيَضْرِبَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ، فَسَأَلَهُ، هَلْ رَأَيْتَهُ؟ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ  
أَنْ يَقُولَ: لَا، لِئَلَّا يَعِينَ عَلَى سَفْكَ دَمِ مُسْلِمٍ.<sup>(١)</sup>

قال العز بن عبد السلام رحمته الله:

وَالْتَحْقِيقُ أَنَّ الْكَذِبَ يَصِيرُ مَأْدُونًا فِيهِ وَيَثَابُ عَلَى الْمُصْلِحَةِ الَّتِي تَضْمَنُهَا عَلَى قَدْرِ رُتْبَةِ تِلْكَ  
الْمُصْلِحَةِ مِنَ الْوُجُوبِ فِي حِفْظِ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْصَاحِ وَالْأَرْوَاحِ، وَلَوْ صَدَقَ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ لَأْتَمَّ  
إِثْمُ الْمُسَبِّبِ إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ، وَتَتَفَاوَتُ الرُّتَبُ لَهُ، ثُمَّ التَّسَبُّبُ إِلَى الْمَفَاسِدِ بِتَفَاوُتِ رُتَبِ  
تِلْكَ الْمَفَاسِدِ.<sup>(٢)</sup>

- **وزاد ابن الجوزي رابعاً:** وهو قد يتقابل - يتساوى - الأمران فالميل حَيْثُ دَلَّ إِلَى الصِّدْقِ أَوْلَى؛  
لِأَنَّ الْكَذِبَ إِنَّمَا أُبِيحَ لَضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ مَهْمَةٍ، فَإِذَا شَكَّ فِي كَوْنِهَا مَهْمَةً فَالْأَصْلُ التَّحْرِيمُ.  
ولغموض إدراك مراتب المقاصد وجب الإحتراز من الكذب مهما أمكن.<sup>(٣)</sup>

(١) سبيل السلام (٢/ ٦٨٤)

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١١٣)

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٤٥٩)

## خامساً: الصحابة أئمة الهدى (مقال للشيخ)

اقتضت حكمة الله البالغة أن يجعل الرسالة الخاتمة باقية فقيض الله سبحانه لها عوامل البقاء والحفظ إلى أن تقوم الساعة وإن فهم ومعرفة حال الصحابة أحد أهم هذه العوامل لذا فإن الله سبحانه هياً للمسلمين أن يجعل إجلال الصحابة جزءاً لا يتجزأ من عقيدتهم - عقيدة أهل السنة والجماعة.

فقيض الله الحاسدين والضالين فطعنوا في الصحابة في الأيام الباكرة فانبرى أهل السنة لبيان فضلهم وإظهار ميزاتهم فأصبحت على لسان كل مسلم. واطر أهل السنة في عقيدتهم مسألة الخلافة وأن أحق الناس بها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وذللو كل من خالف ذلك.

وعرفوا الفضل للصحابة وتفاضلهم فيما بينهم وأحبوهم وأحبوا أهل بيت النبي ﷺ وهم أزواجه وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس (وكل من حرمت عليه الصدقة) وذكروا محاسن الأصحاب وكفوا عن مساوئهم - وسكتوا عما شجر بينهم لعلمهم أن الجميع مجتهد فمصيبهم له أجران ومخطئهم له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور وأن الله أوجد ذلك بقدره لتعلم من سلوكهم كيف نسلك عند وقوع الفتن فكانت أقوال أئمة الهدى عنهم نوراً لمن بعدهم يستضيئون به.

فالصحابة كانوا قبل الإسلام في جاهلية فلما أسلموا صاروا طلبة علم فقال النبي ﷺ: (مرحباً بطالب العلم فإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)، ثم كانوا بعد النبي ﷺ هم أئمة الهدى والعلماء ولم يتيسر لجيل بعدهم ما تيسر لهم.

فكل من أراد طلب العلم من أي جيل بعدهم بدءاً بطلب علوم الأدوات أولاً فإن جمعها أمكنه بعد ذلك أن يصبح طالب علم، أما الصحابة رضوان الله عليهم فبدءوا طلبه علم من أول يوم.

ومرجع ذلك أن الله هياً لهم أدوات الطلب فكانت معهم بمجرد لقاءهم للنبي ﷺ، وأدوات طلب العلم ثلاثة من جمعها جاز له أن يطلب العلم ومن لم يجمعها فهو من العوام يمكنه أن يتعلم

على سبيل النجاة ولا يصدق عليه اسم طالب علم.

### أدوات الطلب:

أولاً: أن يتوفر له من علوم العربية ما يكفيه لفهم النصوص قرآناً وسنةً.

ثانياً: أن يمكنه التعرف على المقبول من المردود من السنة.

ثالثاً: أن يعرف من القرآن أحكام تلاوته وما يتعلق بالنص القرآني أداءً وفهماً.

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا عرباً أهل اللغة وأربابها لهم فيها السبق والباع والطويل وكانوا مع النبي ﷺ فكل ما يسمعونه مقبولاً ليس فيه مردود بل كله يقيني الثبوت ليس فيه راجح ومرجوح وقد تلقوا القرآن من النبي ﷺ فأتقنوا أحكام التلاوة وما يتعلق بها - أما غير الصحاب فيبدلون السنين والأعمار لتحصيل الأدوات ثم يقصر باعهم عن إدراك الصحابة في بداية أمرهم بالإسلام، فسبحان من قيض لذلك الدين وأهله ما كان سبباً لحفظه.

فلا يظن أحد أن كل من حمل معه كتاباً أو قلماً صار للعلم طالباً، لا بد أن يجمع أولاً أدوات الطلب وينبغي أن نفرق بين طالب العلم، وبين المتعلم على سبيل النجاة، فطالب العلم منزلته رفيعة نسب كثير من الأئمة والعلماء أنفسهم لها تشريفاً ورفعة، أما التعلم على سبيل النجاة فهو الواجب على كل مسلم لينجي عمله من الرد والبطلان وينجي نفسه من النار. وبسط ما يلزم المتعلم على سبيل النجاة يحتاج إلى موضع آخر لعل الله أن يعين عليه ويسره إنه على كل شيء قدير.

الأمر الثاني: أن الصحابة صاروا بانتقالهم من الجاهلية إلى الإسلام ومن الكفر إلى الإيمان وبصحبتهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام صاروا من بعده أئمة الهدى وعلماء الأمة الذين يقتدي بهم ولا يتسير ذلك لغيرهم بمثل ما تيسر لهم.

### وبيان ذلك في أربعة أمور:

الأول: أن الصحابة كانوا في الجاهلية أهل فصاحة وبلاغة جعلتهم لما سمعوا القرآن الكريم أدركوا معانيه وعرفوا وفقهوا فيه لأن الفصاحة والبلاغة كانت لهم جبلة.

كيف لا والكفار منهم قد أذعنوا بالفضل للقرآن مع كفرهم وحسدتهم وإغلاق بصائرهم، فالذين آمنوا أدركوا إدراكاً واسعاً وفهموا أفهاماً دقيقة.

الثاني: أن الصحابة عاشوا الجاهلية ثم انتقلوا إلى الإسلام فلم ينخدعوا بالجاهلية بعد لأنهم

عرفوا الشر الذي بعث الله رسوله لهدمه فعرفوا حكم الجاهلية وحمية الجاهلية وظن الجاهلية وتبرج الجاهلية وربا الجاهلية وكل أمر الجاهلية الذي وضعه رسول الله تحت قدميه في خطبته في حجة الوداع، لذا فإنه ينسب إلى عمر رضي الله عنه قوله: (تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في السلام من لا يعرف الجاهلية).

الثالث: أن الصحابة رأوا رسول الله ﷺ وعانوا التنزيل - أي رأوه يقضى في المسائل ويقضى في الأفضيات ورأوه يعمل بنصوص الإسلام فرأوا النبي ﷺ متوضأ ورأوه مصلياً ورأوه متصدقاً ومزكياً ورأوه حاجاً وصائماً رأوه في داخل بيته أباً وزوجاته شاهدنه زوجاً معاشراً في خلوته وجلوته. رأوه في غسله وغائظه رأوه في حياته وخلقه رأوه في طعامه وشرابه رأوه مجاهدًا وداعياً وخطيباً وواعظاً رأوه على كل حال وعانوا أسباب النزول فكانوا أقدر الناس على نقل الأحكام إلى المسائل وتقريب الأفهام الشرعية لمن بعدهم وهذا ما لم يقصر الصحابة في بيانه بل ضحوا وبذلوا الجهد الكبير فيه.

الرابع: أن الصحابة قدر الله لهم أن بقوا معاً في المدينة أعواماً تزيد عن ثلاثة عشر عاماً قبل أن يؤذن لهم في الهجرة إلى بلاد المسلمين المفتوحة فممنع عمر خروجهم ثم لما استأذنوا عثمان أذن لهم، فكانوا لا يخرجون في زمان عمر إلا بإذنه ولعمل محدد بعينه ثم يعودون فجالس وعائش الأصحاب بعضهم بعضاً يرى كل منهم من الآخر ويسمع فينقلون العلم وينقلون الفهم ويتوارثون العمل وإذا وقع أمر أردوا فيه القضاء تشاوروا حتى صاروا أوعية مملوءة علمًا وحكمةً وقبض الله عثمان فأذن لهم بعد أن نضجوا فانتقلوا في الأمصار فانتشر بهم العلم في سائر البلاد. ولو أنهم انتقلوا قبل النضج ما نشروا ذلك العلم كله.

ولو أنهم حبسوا أكثر من ذلك لمات العلم مع موتهم فسبحان الحكيم العليم جعل الصحابة من أهم دعائم ذلك الدين. فاللهم ارض عنهم وألحقنا بهم على الصالحات يا رب العالمين واجعل حبا لهم في ميزان حسناتنا واجمعنا بهم في الجنة فأنت على كل شيء قدير.

كيف يسر الله سبحانه الأمر للصحابة فكانوا عصمة للأمة وهداية لها، فجعل هذا الجيل خير القرون؛ ليكونوا مرجع الأمة في هذا الدين علمًا وفهمًا وعملاً.

ساق مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى

عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: (أما زلتم هاهنا) قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي العشاء. قال: (أحسستم) أو قال: (أصبتم) قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما ينظر إلى السماء. فقال: (النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون).

فالله جعل الصحابة عصمة للأمة من الفتنة، وإنما وقع ذلك بعوامل الله سبحانه قدرها لهم حماية للأمة من الفتن، نذكر منها:

**أولاً: الحافظة القوية:** فلقد كان الصحابة عرباً، وقد ميز الله العرب بالحافظة القوية التي عرفت لهم قبل الإسلام، حيث كانوا يتناشدون الأشعار في أسواقهم (عكاظ وذبي المجاز ومجنة وغيرها...) فيشهدها الشعراء، فيحفظون ذلك كله في صدورهم لسماع واحد. والأمثلة على حفظ العرب في الجاهلية قوية كثيرة واضحة في تلك الأشعار، فلم تكن لهم دواوين إلا الصدور. حتى أن الشاعر إذا عُرف عنه القراءة والكتابة سقط من أعين النقاد؛ لأن ذلك يعني أنه دون وكتب ليحفظ ولم يعتمد على السماع فقط.

فلما دخلوا في الإسلام بقيت الحافظة قوية بل زادت قوة؛ لأنهم انتقلوا من كفر إلى إيمان شرح صدورهم، ومن شرك إلى توحيد نور بصائرهم، ومن معصية إلى طاعة يسرت عليهم أمرهم. فالله يشرح الصدور، وينور البصائر، ويسر كل عسير بالإيمان والتوحيد والطاعة. وكذلك لما علموا أنهم يؤجرون من الله على حفظ الدين ونقله وتبليغه زادت هممتهم، وقويت عزائمهم فحفظوا أكثر مما يحفظون، وجمعوا في صدورهم بأقصى ما يستطيعون؛ لأن المولى سبحانه وتعالى قال: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف: ١٠٨]، يقول سبحانه لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) [الأحزاب: ٣٤].

ويقول ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)، ويقول عليه الصلاة والسلام: (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها).

فصار الحفظ والتبليغ عند القوم دين وشرع، ينالون من الله الأجر والثواب عليه، فقويت الحافظة بالإيمان والأجر الذي وُعدوه من الله صادق الوعد، فنقلوا الدين كله نقلاً أميناً لمن بعدهم. فصيرهم الله بذلك عصمة للأمة من ضياع الدين في نصه كما بلغه رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ولما عُرف الصحابة بذلك صاروا مصدر تلقي ذلك الدين كاملاً غير منقوص، سالمًا من التحريف والتبديل.

**ثانياً: وحدة التلقي:** فالصحابة كانوا في الجاهلية مغمورين فيها، فلما انتقلوا إلى الإسلام عرفوا نعمة الله في ذلك الدين، وعلموا أن العقول لم تكن لهم عصمة، فهم بالعقول في الجاهلية حموا العصبية الجاهلية والكفر، بل وحموا مساوئ الأخلاق وسفكوا الدماء وأشاعوا الفحشاء، ولم تكن العقول عندهم تستنكر ذلك. فجعلوا ضوء الشرع عندهم في نصه وفقهه مقدماً على كل شيء، فصاروا يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في كل أمر، فإذا سمعوا منه قولاً لم يقدموا عليه شيئاً، حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أصاب صحيفة من أهل الكتاب يقرأ فيها غضب النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وقال: (أمتهكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية)، ثم قال: (والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني).

فكان الشرع هو الحكم على كل قول حتى لو استساغته العقول، فإنهم قالوا في الجاهلية بعقولهم: (أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) [ص: ٥].

فالعقول لا تزكو وتفهم إلا بشرع الله سبحانه، فشرع الله حمى العقول من الضلال. فصحابة النبي ﷺ لما خرجوا من جاهلية كانت عندهم معقولة، ودخلوا في الإسلام، عرفوا أن عصمة العقول في اتباع الشرع، فجعلوا عقولهم لشرع الله تبع، فإذا جاءهم القول من الله ورسوله سلموا وامتثلوا.

**ثالثاً: وحدة المرجعية:** لقول الله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: ٦٥]. فكان الحكم في كل أمرهم لما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يصدر عن رأيه، ولا ينتزلون إلا عند حكمه، تدين له أعضاؤهم، وتسلم قلوبهم تسليماً كاملاً.

فإذا اشتجر الرجل مع زوجته، أو مع جاره، أو مع شريكه، أو ولده، أو والده؛ سلم لحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا عمرو بن العاص يدعو ولده ألا يواصل الصوم

والقيام فلم يمتثل، فلما وعظه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك امتثل واستقام وهذا عثمان بن مظعون يتبتل عن زوجه، فلما كلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امتثل. بل وهذا عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لما علم أن أباه قال: ( لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ) [ المنافقون: ٨ ] استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتله بنفسه إن كان يريد قتله، فلما علم أن رسول الله ﷺ لا يقتله سكت. وهكذا الصحابة في كل أمرهم ليس لهم من مرجع يرجعون إليه في الأحكام سوى رسول الله ﷺ.

**رابعاً: التلقي للعمل:** إن القوم ما تلقوا العلم في دين الله لمباراة العلماء، ولا مجادلتهم، ولا للتحلي به في المجالس. إنما كانوا يتلقون للعمل. فلما سمع أبو طلحة قول الله عز وجل: ( لَنْ نَأْتِيَ الْبِرَّ حَتَّى نُتَفَقُوا بِمَا نُحِبُّونَ ) [ آل عمران: ٩٢ ] وكان أحب ماله عنده بستان (بيرحاء) أسرع إلى النبي ﷺ يقول: اجعلها يا رسول الله حيث شئت، ولما سمع عمرو بن الجموع بالجنة ودخول الشهداء فيها - وكان أعرج - سارع بالمشاركة في غزوة أحد، وقاتل حتى قتل. ولما نزلت آية تحريم الخمر، وسمع الصحابة تلاوتها كفوا عنها، وكسروا أوعية الخمر، وأراقوها في سلك المدينة.

ولما نزلت آية الحجاب بليل وعلم بها النساء من أزواجهن شهدن صلاة الفجر خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تلفعن بمروطهن، لم ينتظرن شيئاً، بل أسرعن بالامتثال. وهكذا كان نبيهم ﷺ خلقه القرآن. أي ما ينزل من القرآن يصبح له عملاً وصفة وسجية وخلقاً؛ فيعمل به. كذلك الصحابة القرآن منهجهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوتهم وقدوتهم وإمامهم.

**خامساً: الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا عدولاً صادقين، أمناء في النقل عدلهم الله تعالى في كتابه. وعدلهم نبيهم ﷺ في حديثه، فصاروا في النقل أمناء، وفي العمل صادقين، يعملون كما تعلموا من رسول الله ﷺ، حتى صاروا المرجع لمن بعدهم من المسلمين.**

فهذا ابن عباس يستدل على الخوارج ببطلان عملهم بأنه ليس معهم أحد من الصحابة. أخوا الإسلام: نصوص تعديل الصحابة تملأ كتب السنة والتفسير والأصول، لكنني أكتفي بالإشارة، ومن أراد التوسع فليقرأ ما كتبه أهل السنة في ذلك. والله من وراء القصد؛ وهو الهادي إلى الصراط المستقيم.

## الفهرس

أولا: العقيدة	٢
ثانيا: التفسير	٢٧
ثالثا: الأحاديث	٦٥
رابعا: شرح الحديث	١٠٣
خامسا: الصحابة أئمة الهدى (مقال للشيخ)	١٤٧